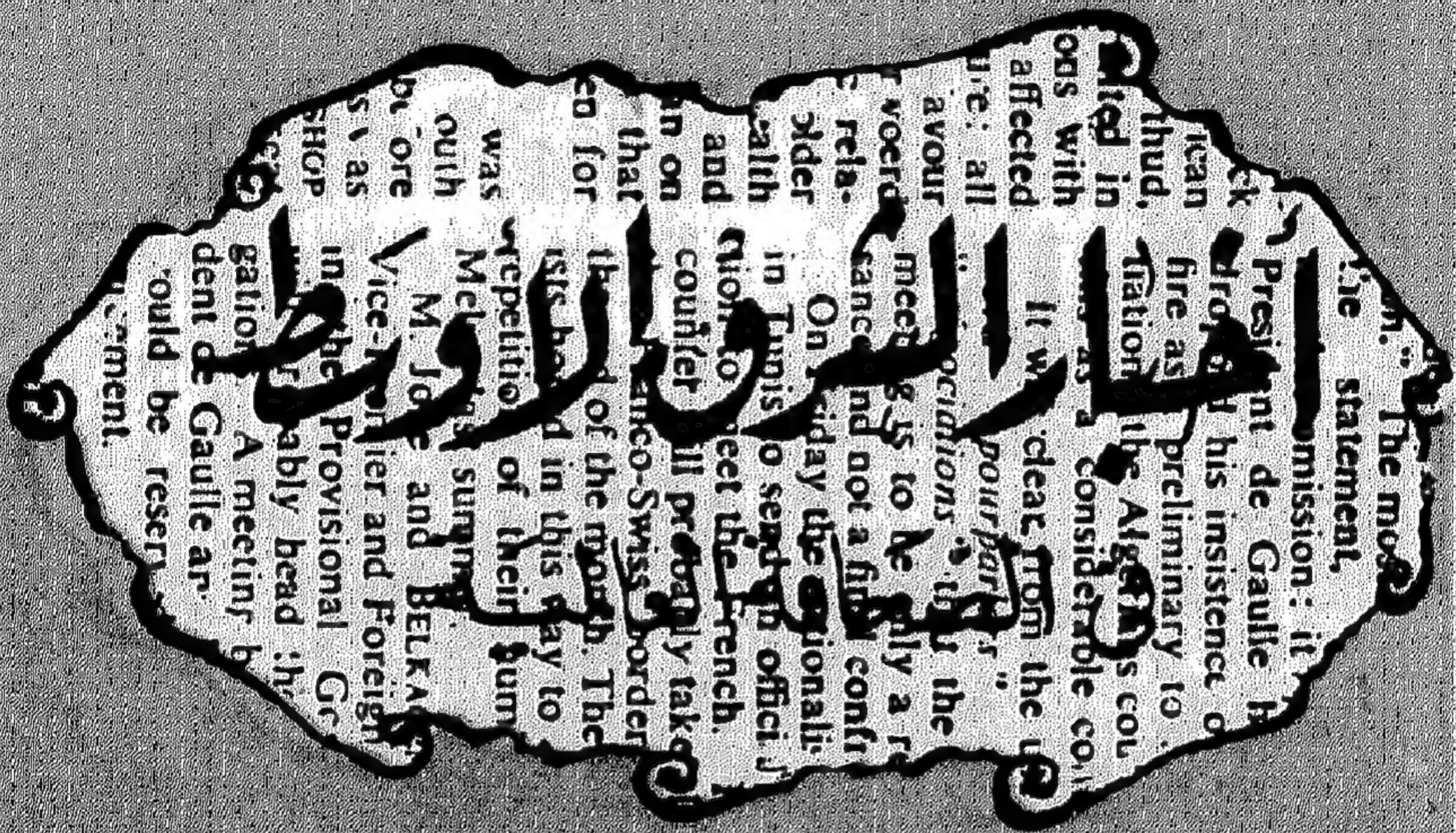
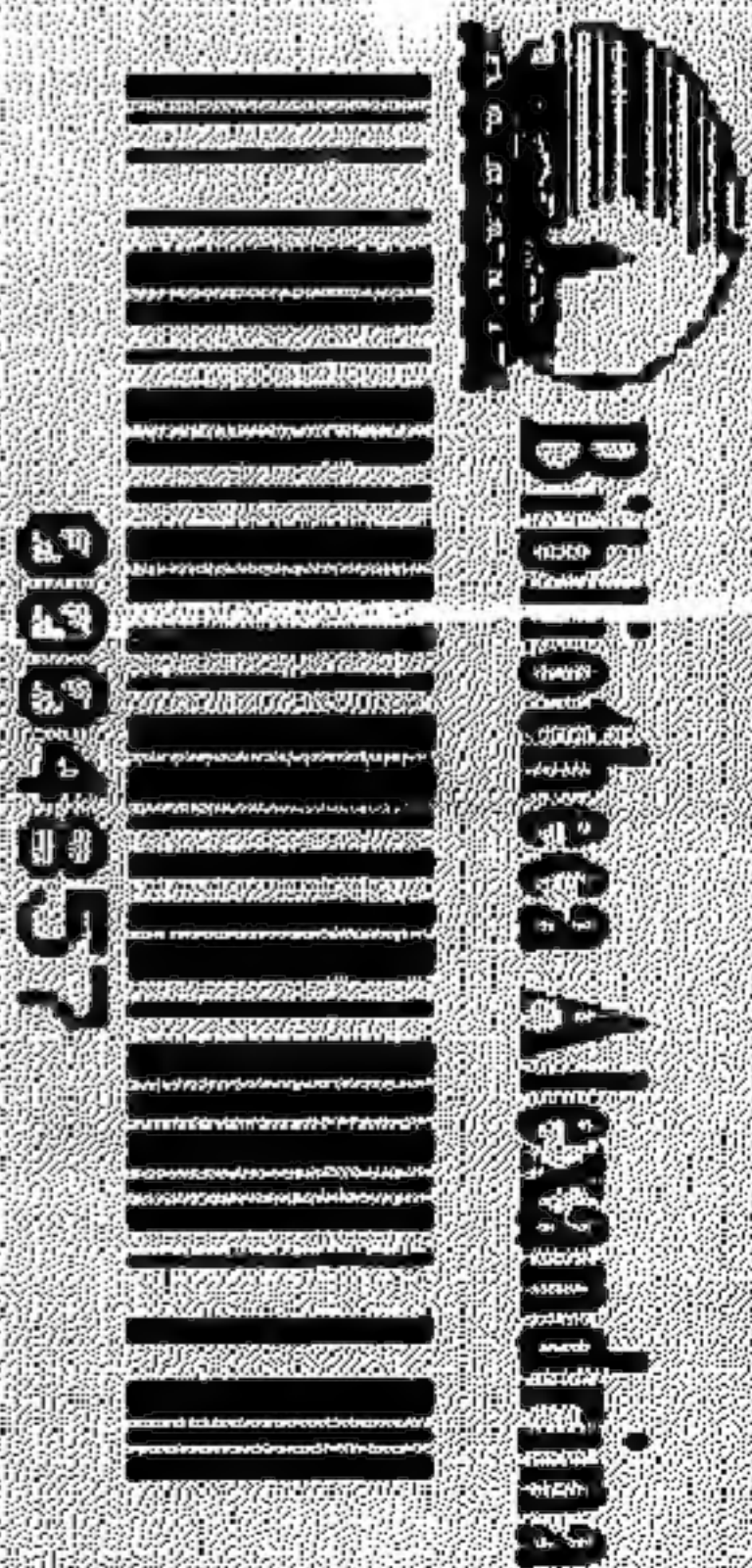


الدكتور عبد اللطيف حمزة
الدكتور وليم الميرى



الطبعة الأولى ١٩٦١

مكتبة الطب والنشر: دار الفكر العربي



أخبار الشرق الأوسط في الصحافة العالمية

دراسة قام بها معهد الصحافة الدولي بمدينة زيورخ بسويسرا

ترجمة

الدكتور عبد اللطيف حمزة الدكتور وليد سليم الميري

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة الشرق العربي
٧ أبو نبوت بدرب الجمايز
بالسيدة زينب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

قام معهد الصحافة الدولي في مدينة زيورخ بدراسة قيمة
موضوعها « أخبار الشرق الأوسط في الصحافة العالمية » .

وقد أوضح المعهد في هذه الدراسة إلى أي حد يمكن استيفاء
هذه الأخبار في صحف العالم أجمع ، وما هي العقبات التي تتحول دائماً
دون هذا الاستيفاء على الوجه الأكمل ، كما لخص الأستاذ والتون كول
walton Cole هذه العقبات في كتابات ثلاث وهي : الرقابة
والنفقات والمواصلات .

ورأينا المعهد الدولي ، قد اعتمد في دراسته هذه على أقوال
الكثيرين من رؤساء تحرير الصحف ، ورؤساء الأقسام الخارجية بهذه
الصحف ، ومديري وكالات الأنباء ، والمتخصصين في شئون الشرق
الأوسط من هؤلاء وأولئك ممن لهم صلة كبرى بمهمة الإعلام .
ثم ألف هذا المعهد من جميع هذه الإجابات تقريراً عظيم الشأن ، أو
قصة بارعة الحبك تحكي حياة المراسل الأجانب في بلاد الشرق الأوسط ،
وتصف متاعبه وتشرح المهمة التي أوفد من أجلها إلى تلك البلاد

وكيف أنه لا يستطيع أن يؤديها على الوجه المراد .
وجاءت كل هذه الإجابات رداً على أسئلة كان قد أعدها
المعهد وتوجه بها إلى هؤلاء المراسلين في هذا الموضوع الهام ؛ وهو
« استيفاء أخبار الشرق الأوسط في الصحف الأجنبية » .
وقد انصببت هذه الدراسة بوجه خاص على الفترة التي امتدت في
أعقاب الحرب العالمية الثانية بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٤ . وهي
فترة هامة وحاسمة في تاريخ هذه المنطقة التي وقعت فيها طائفة من
الأحداث الخطيرة .

فنحن نعرف أنه عقب الحرب العالمية المذكورة ، قامت حركات
تحررية كثيرة شملت معظم بلاد هذه المنطقة التي كان بعضها
لا يزال خاضعاً للحكم الأجنبي أو السيطرة الأجنبية بطريقة أو
بأخرى . وفي أثناء تلك الفترة أيضاً وقعت الحرب الفلسطينية التي
انتهت باغتصاب الأرض العربية من أهلها العرب وتشريدهم وإفساح
المجال لإنشاء دويلة صغيرة - هي إسرائيل - أو هذه الدويلة التي
لا تبحر تستجدي وجودها وتعتمد في كيانها على الدول الكبرى .
وهكذا وقعت في هذه الفترة التي نشير إليها تغييرات سياسية
هامة في كل من مصر وسوريا ولبنان وإيران .

والذي لا شك فيه أن الصحافة العالمية لم تزل تسهم بالتقصير
الشديد من حيث العناية بأخبار هذه المنطقة . وبقيت الصحافة

العالمية على ذلك حتى انتهت الحرب العالمية الثانية بما اقترنت به هذه الحرب من أحداث جسام ، وما أحدثته من تغييرات على جانب كبير من الخطورة . وإذا ذاك فقط ؛ أت الصحافة العالمية تبدى اهتماماً خاصاً بأخبار هذه المنطقة وبأحوال البلاد التي تتألف منها . وهذه البلاد هي : إيران والعراق وسوريا ومصر والأردن ولبنان والعربية السعودية واليمن والسودان وإسرائيل في نهاية المطاف .

وقد استبعدت تركيا من هذه الدراسة لأن ارتباطها بأوروبا أشد في الحقيقة من ارتباطها بالشرق الأوسط ؛ وذلك على الرغم من العلاقات التاريخية والدينية التي تربطها بأكثر بلاد الشرق الأوسط .

وعلى هذا فالكتاب الذي بين أيدينا الآن عبارة عن مجموعة الأحاديث التي قام بها معهد الصحافة الدولي بمدينة زيورخ ، أو الإجابات التي حصل عليها هذا المعهد من المشتغلين بالإعلام على نحو ما قدمنا . وقد سجل المعهد هذه الإجابات في شكل تقرير هام نشره باللغة الإنجليزية . ومنذ حصلنا على نسخة من هذا التقرير أحسنا برغبة شديدة في نقله إلى اللغة العربية واثقين من الفائدة العظيمة التي ستعود على المهتمين بالصحافة والإعلام في الجمهورية العربية المتحدة خاصة والعالم العربي عامة .

غير أننا لم نشأ أن ننقل هذا التقرير بالشكل الذي ظهر به في

نسخته الإنجليزية ؛ بل آثرنا أن نتناوله بشيء من التصرف ،
لا من حيث المضمون ولكن من حيث التقسيم والتبويب .
ومعنى هذا باختصار شديد أننا جعلنا من هذا التقرير
مادة كافية لإصدار كتاب فى موضوع (أخبار الشرق الأوسط
فى الصحف العالمية) بحيث يكون لهذا الكتاب أبواب ، وهذه
الأبواب فصول ، وهذه الفصول عناوين جانبية . وبهذه الطريقة
تسهل قراءته وتحقق الفائدة المرجوة منه .

ومن ثم رأينا أن نقسم هذا الكتاب إلى باين كبيرين :

الباب الأول

وموضوعه استيفاء أخبار الشرق الأوسط ويحتوى على
ستة فصول :

أولها : وبمثابة مقدمة تصف طبيعة المنطقة من النواحي
الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والسياسية ووصف الظروف التى
لا بد أن يقابلها المراسل الأجنبى فى هذه البلاد ولا مفر من أن
ترك أثرها فى عمله وفى عمل وكالات الأنباء التى يتصل بها .

وثانيها : موضوعه الرقابة التى تفرض على الصحف ، والتى
يعانى منها المراسل الأجنبى كثيراً من المتاعب .

ونالهما : فى وصف المصاعب التى يكابدها المراسل الأجنبى فى الانتقال من مكان الى مكان فى هذا الشرق الأوسط الذى يجهله ولا يكاد يتعرف إليه إلا بعد جهد ومشقة .

ورابعها : فى إمكان الحصول على الأخبار .

وخامسها : فى وصف بقية المتاعب الأخرى التى يعانى منها المراسل الأجنبى فى الشرق الأوسط . كالتفقات الكثيرة التى لابد منها فى الحصول على الأخبار، والغلاء الذى يكابده المراسل الأجنبى فى تلك البلاد .

وسادسها : فى موضوع استيفاء الأخبار — أو بعبارة أخرى — الكلام عن مصدر الأخبار بالقياس إلى الصحف تارة، وإلى وكالات الأنباء تارة أخرى . وعند ذلك ينتهى الباب الأول أما :

الباب الثانى

فموضوعه المآخذ التى يأخذها المعهد على استيفاء أخبار الشرق الأوسط فى الصحف العالمية . ويحتوى هذا الباب على ستة فصول :
يهتم الفصل الأول منها بإظهار النقص فى كمية الأخبار ، أو قلة المساحة ، أو ضيق الحيز الذى تخصصه الصحف الأجنبية لأخبار الشرق الأوسط عامة .

ونأى هذه الفصول يتحدث عن التقصير الشديد فى تفسير
الأخبار والتعقيب عليها والعدول نهائياً عن ذلك أحياناً فى كثير
من الصحف الهامة .

ويحدثنا الفصل الثالث من فصول هذا الباب حديثاً هاماً عن
التفاوت فى استيفاء هذه الأخبار من بلد إلى آخر من بلاد هذه
المنطقة الى هى موضوع البحث .

أما الفصل الرابع من هذا الباب فنجد فيه بحثاً فى اختلاف
مستويات الأخبار فى هذه المنطقة ، فهناك تفاوت فى مستويات
هذه الأخبار، وطرق عرضها ؛ فهناك الصحف التى تعرض هذه الأخبار
على مستو عال وهناك الصحف التى تعرضها على مستو منخفض وهكذا .

وفى الفصل الأخير من فصول هذا الباب نجد اهتماماً بمعالجة
أخبار المنطقة وفى نهاية آخر هذا الفصل عرض لأراء رؤساء تحرير
الصحف فى النتائج التى وصل إليها المعهد من هذه الدراسة .

أما الخاتمة فعبارة عن خلاصة للنتائج التى وصل إليها المعهد الدولى
من وراء دراسته هذه . كما تتضمن بعض المقترحات التى أوصى بها
المعهد لمعالجة هذه العيوب والمآخذ التى خرج بها .

الحق لقد دعنا أمور كثيرة إلى ترجمه: هذا الكتاب . ومنها

ما لاحظناه من غلبة الطابع العلمى والصفة الموضوعية .

إذ هو يصف لنا ما هو كائن بالفعل . ويبنى هذا الوصف على أقوال المشتغلين بالإعلام كما بينا . وهم بين جامع للأخبار ، ومعلق عليها ، ومفسر لها ، وكاتب للمقال ، ومهتم بالأحاديث والتحقيقات ، ومستول فى إحدى الوكالات ومتخصص فى أخبار هذه المنطقة وهكذا .

كما نجد أيضاً فى هذه الدراسة التى قام بها المعهد فرصة طيبة للمشتغلين بوظائف الإعلام ليؤلفوا لأنفسهم فكرة صحيحة عن مشكلة هامة من مشكلات الصحافة الحديثة هى مشكلة استقصاء الأخبار الخارجية لمنطقة ذات أهمية كبيرة كمنطقة الشرق الأوسط .

ثم من هذه الدواعى التى دعتنا إلى ترجمة الكتاب إليه على أنه مرجع من المراجع التى لا يستغنى عنها جميع المشتغلين بمصلحة الاستعلامات ووزارة الثقافة والإرشاد ، وذلك فضلاً عن طلبية الصحافة بجامعة القاهرة ، وغيرها من المعاهد التى تدرس هذه المشكلة .

فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحقق الفائدة المرجوة لجميع هؤلاء فذلك من توفيق الله ، وإلا فقد أردنا الخير كما أملت علينا ضمائرنا

ووطنيتنا لاستكمال نواحي النقص في المراجع العربية الخاصة
بدراسة الإعلام في جمهوريتنا .

بقيت مسألة نحب أن نذبح إليها القارئ ، وهي أن هذه الدراسة
حدثت نفسها بالفترة بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٥٤ .

والذي لا شك فيه أن كل شيء قد تغير تقريباً في بلاد
المنطقة بعد هذه الفترة . بل إن كثيراً من الظروف التي يعيش فيها
المراسلون الأجانب قد نالها شيء من التغير كذلك .

ومعنى هذا أننا يجب أن نحمل العبارات الواردة في هذا الكتاب
على زمانها وإن كان زمانها قريباً منا على هذا النحو .

وعلينا كذلك أن نمرّ مرّ الكرام ببعض عبارات خاصة
وتنظر إليها نظرة تاريخية خالصة بكل ما تحمل هذه الكلمة
من معنى .

بهذه الروح نرجو أن يُقرأ هذا الكتاب الذي نرجو أن
ينير الطريق أمام الباحث العربي .

وبهذه الروح ينبغي أن تفهم الحقائق التي اشتمل عليها الكتاب ، وعن
هذا الطريق السليم يمكن أن يستفاد من هذا البحث الذي نقدمه للقراء

ولهم المبرى

عبد اللطيف حمزة

يوليه سنة ١٩٦٠

الباب الأول
استيفاء أخبار الشرق الأوسط
في الصحافة العالمية

الفصل الأول

طبيعة المنطقة

لا ريب أن المراسل الذي تبعته جريدته إلى الشرق الأوسط يجد نفسه أمام دقات كثيرة ؛ أهمها المسافات الشاسعة التي تفصل بين دول المنطقة والتي تزيد من إرهابه . فدوته أكثر من ألفي ميل بين المملكة المغربية غرباً ، وإيران شرقاً ، ودوته مثل هذه المسافة تقريباً بين تركيا شمالاً وعدن جنوباً .

ثم إن منطقة الشرق الأوسط تضم سبع دول عربية ، وإمبراطورية إيران ، وعدداً من الإمارات والمشيخات العربية ، وتتطفل إسرائيل على هذه المنطقة ، فهي تقع على جزء من الأرض العربية . وهي أي إسرائيل من الناحية الإعلامية مشككة قائمة بنفسها . لأن حالة الحرب لا تزال قائمة بينها وبين البلدان العربية التي تحيطها من كل جانب .

على أن وسائل المواصلات في المنطقة حسنة نسبياً . وذلك باستثناء الجزيرة العربية . ويستطيع المراسل الأجنبي التنقل بالطائرة بين أطراف هذه المنطقة . وكذلك نجد أن الاتصالات البرقية ميسرة بين بلدان المنطقة وعواصم الغرب جميعاً .

ولكن مهما توافرت سبل السفر والاتصالات فعلى المراسل أن يكون نشيطاً إلى أقصى حد ، في أجواب لا تساعد على النشاط حتى يستطيع أن يوافي جريدته بأخبار الشرق الأوسط أولاً بأول .

ينبغي على المراسل دائماً أن يحافظ على نشاطه البدني ، ونشاطه العقلي على السواء . فهو في أوروبا يقف على التطورات المختلفة بواسطة الصحف المحلية . ويساعده على عمله هناك معرفته بإحدى لغات أوروبا الرئيسية . أضف إلى هذا أن أسلوب حياته لا يختلف عن أسلوب الحياة التي ينقل أخبارها ، ولديه معلوماته أو خبرته التي تمكنه من فهم حقيقة المواقف هناك في أسرع وقت ممكن .

ولا يجد المراسل الأجني — على الأول خارج إسرائيل — شيئاً من هذه المعالم . والكثرة من المراسلين ليسوا من أهل هذه البلاد . والمراسل يجد نفسه في منطقة تختلف حضارة وثقافة عن حضارة بلده وثقافته ، كما يجد نفسه في جو يترك أثره في كل قصة يكتبها . واختلاف الحضارة بين الشرق والغرب يجعل من الصعب على المراسل الغربي أن يفهم هذا الشرق فضلاً عن تقريبه من القاريء في بلاده .

فمثلاً يستطيع المراسل في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية أن يفسر اتجاهات الرأي العام ، وأن يتبع تفاعل القوى السياسية المختلفة . أما في الشرق الأوسط فالرأي العام هو رأي

أقلية مستنيرة من سكان المدن . والسياسة هناك مقصورة على الشخصيات الكبيرة ، وحماسة أكثر بلدان الشرق الأوسط . قد نمت إلى حد يسمح لها بتوجيه اترأى العام توجيهاً أولياً ، وإن كانت مقاييس الرأى عندها لا تزال عاجزة نسبياً . ولما كانت الصحف تصدر باللغة العربية ، باستثناء بعض الصحف الأوربية القليلة الشأن ، لم يستطع المراسل الأجنبى الاطلاع على تلك الصحف ، وإذا كان يعرف اللغة العربية فلا بد أن يكون متضلعا فيها حتى يستطيع أن يقرأ ما بين السطور ايعلم ماذا يجرى من الأمور ، ولما كانت هناك بعض صحف فى بلدان الشرق الأوسط تعتمد مالياً على مصادر خفية كان على المراسل الأجنبى أن يعرف من الذى يدفع هذه الأموال ؟ ولماذا يدفعها للصحيفة ؟

غير أن ذلك كله لا يفت فى عضد المراسل الأجنبى ؛ وهو رجل ذو عزم ، وسرعان ما يستطيع أن يترجم أسرار السياسة فى الشرق الأوسط إلى لغة مفهومة ، وإن وجد نفسه فى بعض الأحيان محتاجاً إلى تبسيط الأخبار بحيث يرضى عنها المحرر المسئول فى جريدته ، ويرضى عنها كذلك قارىء تلك الجريدة .

على أننا يجب أن نعلم أن اهتمام القراء خارج المنطقة محدود ، ولا ينتظر منهم أن يتابعوا أخبار الشرق الأوسط ؛ اللهم إلا إذا كانت هناك ثورة أو حادث اغتيال سياسى ونحو ذلك .

والمراسل الأجنبية بعد كل هذا مضطرا إلى أن يواجه ما يواجهه غيره من المراسلين في أية منطقة من مناطق العالم . والحيز الذي ينشر فيه أخباره حيز محدود للغاية ما لم تكن الأخبار من الأهمية والإثارة بحيث تنشر في الصفحة الأولى . والصحف التي تجعل للشرق الأوسط أهمية توازي أهمية واشنطن وباريس ولندن صحف قليلة جداً ، وليس هناك إلا القليل من الصحف التي تهتم أو تواصل هي وقراؤها تتبع أحداث الشرق الأوسط يوماً بعد يوم .

وهكذا يجد المراسل أن تفسيره لإلغاء المعاهدات ، وقتل الزعماء ، ينشر في أسطر قليلة أو لا ينشر على الإطلاق .

ولكن مهما يكن من شيء فلا بد أن تنقل أخبار الشرق الأوسط نقلاً كاملاً وأميناً ، فكما قال رئيس تحرير إحدى الصحف الهندية : ، للشرق الأوسط أهمية كبيرة ظاهرة ، فمن الواضح أن توازن القوى فيه يختل أو يترك فراغاً كبيراً في الوقت الذي تزداد فيه أهمية الشرق الأوسط من الناحيتين الإستراتيجية والتجارية ، .

وكما قال مراقب عليم ببواطن الأمور : « يعتبر كثير من الخبراء أن الشرق الأوسط هو الميدان الذي يختبر فيه كل من العالم الحر والاتحاد السوفيتي قدرته على كسب المعركة التي تهدف إلى تأييد البلاد المتخلفة في أفريقيا وآسيا لأحد المعسكرين .

والواقع أن الشرق الأوسط أحد مراكز العالم الاستراتيجية الرئيسية . فهو القاعدة العسكرية بين الغرب والشرق الأقصى ، وفيه رصيد ضخم من البترول . وقد أظهرت حربان عالميتان أن الدفاع عنه أمر بالغ الأهمية ، وقد رأينا أن المناورات الدبلوماسية لا تنقطع في وقت السلم لكسب صداقة زعمائه بقصد التأثير على سياستهم الخارجية .

ومن هنا نجد أن الإخبار عن أى تغيير سياسى فى هذه المنطقة له تأثير هام فى علاقات الشرق الأوسط ببقية العالم ، وأنه يظفر بالعناوين البارزة فى صحف العالم كلها على السواء .

ثم إنه فى الخمسين سنة الماضية ظهر عامل جديد زاد فى أهمية الشرق الأوسط خطوياً جديدة ، وجعل منها قضية معتدة بالمعنى الصحيح ، فظهور القومية العربية ، والتعقيدات التى طرأت بسبب قيام الوطن الصهيونى ، كل ذلك قد رزل حق الدول الأجنبية فى فرض سياستها على دول الشرق الأوسط . وفى خلال تلك الفترة ظهر زعماء جدد ، وتدخلت قوى جديدة ، وأحاطت بالمنطقة ظروف مخالفة للظروف السابقة كل المخالفة .

لقد وطدت الحرب العالمية الثانية العلاقات بين الشرق الأوسط وبقية العالم ، كما غيرت من طبيعة تلك العلاقات ، ولقد تغيرت المنطقة فى السنوات العشر الأخيرة تغييراً كاملاً ، سواء من الناحية

العقلية ، أو من ناحية النظم الدستورية ، بحيث أصبح على الذين لهم مصالح في الشرق الأوسط أن يغيروا أفكارهم القديمة ، وأن يلائموا بين آرائهم وبين التطورات الأخيرة .

وأما هذه التطورات فإنها تتبع من بضع حقائق أساسية ، أولاها الاستقلال الذي حصلت عليه كل من مصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا وليبيا والسودان وإسرائيل وإيران ؛ في الوقت الذي خرجت فيه العربية السعودية واليمن والكويت من نظام حكم الأمراء والشيوخ (١) .

وقد أدى استقلال البلاد العربية إلى كف السيطرة الأجنبية على حكومات الشرق الأوسط ، كما أدى إلى خلق نوعين من الرأي العام : أحدهما حقيقى والآخر مزيف يعتمد على الدعاية الرسمية في الصحف والإذاعة وغيرهما من الوسائل التي تملكها الحكومات أو تخضع لإشرافها أو رقابتها . وأدى الاستقلال كذلك إلى تحقيق سيادة تلك الدول على أراضيها التي يتدفق منها البترول وتتمر فيها أنابيبه .

وهناك تغير آخر له أهميته كذلك وتعنى به إنشاء جامعة

(١) في الأصل : النظام الإقطاعى Feudal ولكن خوفا من اللبس على القارئ آثرنا أن تكون الترجمة على هذا النحو : حكم الإمارات والشيخات وزعماء القبائل .

الدول العربية التي تضم مصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا
والعربية السعودية واليمن وليبيا والسودان ، وتجدد لقرارات
الجامعة العربية وبياناتها صداها الواسع في العالم ، وهذا يعني أن
آمال العرب أصبحت لأول مرة معروفة لكثير من الدول الغربية
التي كانت تجهلها أو تتجاهلها من قبل تجاهلاً يوشك أن يكون تاماً .

وهناك التغيير الثالث وهو قبول الدول العربية المستقلة أعضاء في
هيئة الأمم المتحدة . ولم يزد هذا من مكانة تلك الدول في الميدان
الدولي فحسب ولكن أتاح لها الفرصة لكي تعبر عن آمالها وآلامها
من فوق منبر الهيئة الدولية وبخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين ،
وذلك فضلاً عن أن عضوية الأمم المتحدة جعلت العرب على
اتصال دائم بالدول الشرقية مما أدى إلى تكوين ما يعرف باسم
الكتلة الآسيوية الأفريقية .

كل هذه التغييرات جعلت للشرق الأوسط والعالم العربي
مكانة خاصة تختلف من مكانته السابقة . وزادت في الوقت نفسه من
مسئولية مثلي الصحف ومندوبيها الموجودين في هذه المنطقة نحو
تسجيل تطوراتها يوماً بعد آخر .

وقبل أن نبدأ في مناقشة استيفاء أخبار الشرق الأوسط نجد
من الضروري أن نفحص عن كثب طبيعة القيود التي يعمل في
ظلها المراسل الأجني في الشرق الأوسط ، وإن كانت الظروف

القاسية في هذه المنطقة لا تمنع من نقل الأخبار نقلاً كاملاً أميناً على خلاف ما يحدث وراء الستار بين الحديد والسوفيتي والصيني .

والواقع أن السعي وراء الخبر في الشرق الأوسط ونقله إلى وكالة أنباء أو صحيفة تعوقه عوائق تضعها حكومات الشرق الأوسط في بعض الأحيان . وإذا ما نشر الخبر في الجريدة فقد يكون لنشره آثار غير سارة بالنسبة إلى المراسل .

فالرقابة بأشكالها المختلفة ، وتأشيرة السفر ، والتأخير في السماح بها ، ومصاعب الحصول على الأخبار في ذاتها ، وغير هذه وتلك من الصعاب التي تعترض المراسل الأجنبي أهـور مألوفة في الشرق الأوسط ، تلجأ إليها حكوماته لمنع نشر أي خبر أو قصة غير مرغوب في نشرها لسبب أو لآخر .

الفصل الثاني

الرقابة

تتميز الرقابة في الشرق الأوسط بتعدد أشكالها وتنوع الظروف المحيطة بها ، وتفاوت مددها . فهي تختلف من بلد لآخر ، ومن وقت لآخر في البلد الواحد .

ومع هذا وذاك فقد أجمع المراسلون الأجانب على تفضيل الشكل الرسمي من أشكال الرقابة ، لأن هذا الشكل على الأقل يتيح لهم الفرص لمناقشة النقط المختلف عليها . وقد ينتهي الخلاف بين المراسل والرقيب عند مجرد تغيير لفظ أو تفسير آخر ونحو ذلك . وعند الموافقة على النص المعدل ترسل البرقية فوراً إلى الجهة التي تقصد إليها .

غير أن الطابع العام للرقابة في الشرق الأوسط يجعل منها رقابة غير مباشرة ، فقد تترك المراسل في حيرة من أمرها . ومن النادر أن تصدر السلطات المستولة قائمة بالموضوعات الممنوعة ليسترشد بها المراسل . وكثيراً ما يكون قرار المنع أو الحذف صادراً عن رقيب معين لم يستطع المراسل أن يتفاهم معه بحال ما ،

وفي بعض الأحيان يستغرق البت في أمر برقية من البرقيات وقتاً طويلاً يؤخر وصولها إلى البلد الذي يريده المراسل ؛ فيفقد الخبر نفسه صفة الحالية أو الجدة الزمنية . وقد ذكر عدد من المراسلين أن التأخير امتد في بعض الأحيان إلى ٢٤ ساعة كاملة . ولخص مراسل أمريكي « تعود أن يزور المنطقة ما بين ١٩٤٥ ، ١٩٥٢ ، متاعب الرقابة غير المنظورة بقوله : كانت متاعبي مستمرة سواء وجدت الرقابة أم لم توجد ، فيبدو أن من الصعب إرسال البرقيات التي لا ترضى عنها السلطات المستثناة بحال ما .

وخلال السنوات العشر الأخيرة لاحظ المراسلون تغيراً في الغاية من فرض الرقابة في الشرق الأوسط ، وقد أدى هذا التغير إلى مزيد من المشكلات والمتاعب في طريق المراسلين الأجانب . وهم يقولون إن الرقابة كانت تفرض قبل الحرب الفلسطينية بين العرب واليهود لأسباب محلية ، فكانت الحكومات تمنع وصول الأخبار غير المرغوب فيها إلى داخل البلاد ، في الوقت الذي لا تمنع فيه الأخبار غير المرغوب فيها من الانتقال إلى خارجها .

ولكن الحرب الفلسطينية غيرت رأى الزعماء العرب في بعض دول العالم ، وجعلت لها نوعاً من الحساسية الدقيقة تجاه ما ينشر عنها في الخارج .

إلا أنه في هذه الفترة نفسها جذت عوامل كانت في صالح

المراسل . فقد فطنت الحكومات إلى تخفيف الرقابة على الأخبار التي لا بد أن تظهر في الخارج لأنها كانت تبجد أن الأخبار التي تمنع من خروجها كانت تخرج وتنشر على نحو مبالغ فيه ، وبألوان أكثر مما تحتمله الحقيقة . ولذلك ساعدت على نشر الأخبار الصحيحة التي تعبر عن وجهة نظرها .

وقد دلت التجربة على أن الأخبار غير المرغوب فيها تتسرب إلى الخارج في سرعة سواء كانت عن طريق رسمي أو غير رسمي . فمثلا عندما أحرق جزء من القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وصلت أنباء الحريق بالجو عن طريق روما . والذي حدث أن طائرة قامت بعد ظهر ذلك اليوم وكان فيها أحد نزلاء فندق شبرد من كانوا موجودين في الفندق عندما أشعلت فيه النار . وفي الوقت نفسه تمكن مراسل من أن يذهب بسيارته إلى القاعدة البريطانية في منطقة القناة ويبحث بأخبار الحريق إلى لندن باللاسلكي .

وقد أشار أحد الذين شاركوا في هذه الدراسة إلى أن فترات فرض الرقابة على البرقيات كانت قصيرة . ولم يكن تأثيرها على تغطية أخبار المنطقة خطيراً خطورتها في بلدان أخرى . بل كان أكثر حيلة ، وأقل حساسية من ناحية الأخبار .

وأيد أحد مديري وكالة أنباء أمريكية هذا الرأي بقوله : منذ ١٩٥٣ تحسن موقف الرقابة في الشرق الأوسط على وجه العموم ،

وإن كان لم يتحسن تحسناً كبيراً في العربية السعودية والعراق .

وأياً كان الأمر فقد تغير نظام الرقابة التلغرافية ، والتليفونية والبريدية . أما الرقابة المفروضة على الصور فهي في رأى المراسلين تعوق عملهم في الشرق الأوسط وبخاصة عندما تقع أحداث هامة .

وقبل أن نتكلم عن الرقابة في كل بلد من بلدان الشرق الأوسط يجب أن نقول شيئاً عن الرقابة على الصحف المحلية ما دامت الصحف المحلية أحد مصادر الإعلام الطبيعية التي يعول عليها المراسل الأجني .

وخضعت الصحف في أكثر بلدان الشرق الأوسط للرقابة منذ عام ١٩٣٩ ، ومنذ ذلك التاريخ والفترات التي تمتعت فيها الصحف بالحرية فترات قليلة وقصيرة في وقت معا .

فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اعتبرت الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ مبرراً لفرض الرقابة من جديد . واستمرت الرقابة بسبب الأعمال العدوانية والأزمات السياسية بين العرب واليهود .

والرقابة الداخلية في العادة أشد من الرقابة المفروضة على المراسلين الأجانب ، وذلك لأسباب خاصة ؛ أولها أن الصحف المحلية

نميل إلى أن تسلك سلوكاً لا تقدر فيه مسئولياتها^(١) ، وثانيها أن أكثر بلاد الشرق الأوسط تمر الآن بفترة تطير وتقلبات ثورية ، وثالثها أن الديمقراطية فيها لم ترس بعد على أسس متينة وسليمة ، ورابعها أن نفش الأمية هناك يجعل من الصعب تطبيق الديمقراطية تطبيقاً عملياً ، فالديموقراطية في بلدان الشرق الأوسط مطبوعة لفظاً لا عملاً . ولذلك تفرض الرقابة في الميدانين السياسى والاقتصادى لمنع نشر الأخبار غير المرغوب فيها أو تسريبها إلى الخارج .

وهكذا يتظاهر الطلبة ، ويضرب العمال ، وتجري الاعتقالات السياسية والتحقيقات الرسمية ، ولا يشار إلى شيء من هذا في الصحف المحلية ، وإن وجدت إشارة فهي إشارة مقتضية لا تغنى شيئاً.

مصر

الرقابة في مصر ، كما في غيرها من بلدان الشرق الأوسط من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، وقد أعقب تلك الحرب فترة رفعت فيها الرقابة أو خفضت بعض الشيء . ولكن عندما نشبت الحرب في فلسطين في سنة ١٩٤٨ أعيدت الرقابة واستمرت إلى وقت القيام بهذه الدراسة مع تفاوت في شدتها . ومن المصاعب

(١) يعلق مراسل فرنسى على ذلك بقوله : إن الفترات القصيرة التي كانت ترفع فيها الرقابة في مصر كانت تتميز باللهجة العنيفة التي فثت بها الصحف ، وقد ذهبت بعض الصحف في تلك الفترات إلى حد التعريض علناً على القتل .

التي كانت تواجه المراسل الأجنبي أن تعليمات الرقابة لم تكن محددة الأمر الذي كان يترتب عليه أن الرقيب كان يتصرف حسب رأيه الشخصي، وحسب ما يتصور وما ينبغي أن يكتب، وحسب رغبة الحكومة فيما يكتب وينشر .

والشكوى الخاصة من الرقابة المصرية أنها كانت مبهمه . وقال أحد المراسلين الأمريكيين : لقد كان بيني وبين الرقباء المصريين في النصف الثاني من سنة ١٩٤٨ مشكلات تكاد تذهب بالعقل ، لقد كانت معلوماتهم ناقصة ، فلم يكونوا يعرفون أن الأخبار التي يمنعونها أخبار شائعة في العالم كله . ولم يكونوا يضعون قوائم للمنع من النشر ، وكانوا يمتنعون عن إبلاغ المراسل الأشياء التي حذفوها من برقيات قبل السماح بإرسالها مما لم يتح الفرصة للمناقشة في تعديل تلك البرقيات . ومع أن الرقابة كان مقصوداً بها الأخبار ذات الصيغة العسكرية ، فإن الغرض الحقيقي هو حذف كل ما لا ترغب حكومة ذلك العهد في نشره في العالم . وحدث مرة أنني أرسلت برقية من ١٤٠٠ كلمة فلم يصل منها إلا بضع كلمات والباقي حذفه الرقيب ، ولم أعرف هذا إلا بعد أن أبلغني ذلك مكتب الوكالة في الخارج ، .

وبلغ بالرقابة أنها كانت تتناول بالتغيير كل رسالة ترسل إلى خارج مصر سواء كانت تشير إلى حرب فلسطين أو لا تشير . ومن المضايقات

التي كان يتعرض لها المراسلون وقتئذ تأخير برقياتهم ، واستدعاؤهم بواسطة البوليس لتفسير بعض ما ورد في برقياتهم . وقد دهش أحد المراسلين مرة عندما وجد أن برقيته تأخرت أسبوعاً مع أنها كانت تتصل بملكة جمال استرالية التي عادت إلى بلادها بسبب دعوى طلاق أقامها زوجها .

وبالتدريج خفت الرقابة على المسائل المتصلة بإسرائيل حتى أصبح المراسلون لا يشكون بسببها إلا قليلاً . وفي الوقت نفسه اشتدت الرقابة على الأخبار المحلية ، وفي سنة ١٩٤٩ وضع الرقباء في دور الصحف ومكاتب الأنباء ، وظلوا حتى سنة ١٩٥٠ ، وأعيد الرقباء في أوائل سنة ١٩٥٢ عندما أعلنت الأحكام العسكرية بعد حريق القاهرة . ورفعت الرقابة الداخلية ثانية في ٧ مارس سنة ١٩٥٤ لمدة ثلاثة أسابيع وأعيدت في ٢٩ مارس من السنة نفسها . ولما جاءت حكومة الثورة أبعدت الرقباء من مكاتب وكالات الأنباء الأجنبية نهائياً .

وفي السنوات التي سبقت قيام الثورة لم يكن معروفاً على وجه اليقين ما هي الموضوعات التي تخضع للرقابة باستثناء أخبار القصر التي كان يجب عرضها على رجال القصر ، وباستثناء أخبار القوات المسلحة التي كانت ممنوعة منعاً باتاً .

وكان القانون يحتم عرض الأخبار التي تشير إلى الملك فاروق

على وزير الداخلية الذى كان يمنع أى خبر فيه مساس بالملك ، كما يمنع الأخبار التى تتناول تدخل الملك فى السياسة . ولما كانت الأخبار وقتئذ تدور حول الصراع بين الملك السابق فاروق وحزب الوفد فقد جعلت الرقابة من الصعب على المراسل أن ينقل فى أخباره صورة كاملة للوقف .

وكان المراسلون يحملون برقياتهم إلى الرقباء ليناقشوا معهم النقط المختلف عليها متى سمح لهم بذلك . وكان هذا يفيد المراسلين لأن شدة الرقابة كانت تختلف من رقيب إلى رقيب . وكان يحدث أن برقيته يحيزها رقيب الصباح ، ويمنعها رقيب المساء .

وعندما عاد الوفد إلى الحكم سنة ١٩٥٠ رفعت الرقابة نظرياً ، ولكنها ظلت عملياً لحماية مصالح الوفد والقصر . وهناك حادث يصور الصعوبة التى كان يعانى منها المراسل عندما يريد أن يعرف ماذا يستطيع أن ينقل من أخبار . فقد أصدر وزير الخارجية وقتئذ بياناً سمح لإحدى وكالات الأنباء بإذاعته فى الخارج ، ولكن الرقيب أوقف إرسال البرقية حتى يعرضها على وزير الداخلية الذى أمر بمنعها .

وفى خريف سنة ١٩٥١ بلغ تحكم الرقابة ذروته بسبب ما كان يحدث فى منطقة قناة السويس عقب إلغاء المعاهدة البريطانية

المصرية ، وكان الرقباء يضيفون إلى البرقيات أشياء من عندهم ،
ويحذفون أشياء أخرى .

ويقول مراسل إن الأمر كان يتم في سهولة . ومن أمثلة ذلك
أن فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وقتئذ أعلن أن المظاهرات
المعادية لبريطانيا اشترك فيها مليون شخص . وكان تقدير المراسل
للمتظاهرين يتراوح بين ١٥٠ ألف و ٤٠٠ ألف . ولكن الرقيب
حذف تقدير المراسل وأبقى تقدير الوزير مع عدم الإشارة إلى أنه
تقدير رسمي بحيث يوحي أنه تقدير المراسل نفسه . ومثل آخر :
قدر مراسل جريدة أمريكية عدد القوات البريطانية في منطقة
القناة بضعف العدد الذي سمحت به المعاهدة البريطانية المصرية .
ولكن الرقيب جعل التقدير عشرة أمثال العدد الأصلي .

وظلت الرقابة على حالها من التحكم والتخبط حتى سنة
١٩٥٢ عندما أحرقت القاهرة ، ومنعت الأخبار منعاً باتاً
لعدة أيام .

وفي الأسابيع السابقة للثورة عكست الرقابة الصارمة صورة
من التخبط الذي كان عليه الموقف السياسي .

وعندما تدخل الجيش ليقوم بثورته كان أول مبنى احتله
الجنود هو مبنى ماركوني مقر الإرسال اللاسلكي في القاهرة

ووضع فيه رقيباً عسكرياً كانت تنقصه الخبرة اللازمة في ذلك الوقت .

وفي أغسطس سنة ١٩٥٢ تولى على ماهر الحكم تحت إشراف مجلس الثورة . وأوقفت السلطات المصرية بوعدها بإطلاق حرية الصحافة .

إلا أن الرقابة أخذت تحدثها تخف خاصة وأن العهد الجديد وجد أنه قابل منازلة حسنة من الصحافة في الخارج . وقال أحد المراسلين عن تلك الفترة : يجب أن أقرر أنني أرسلت برقيات فيها شيء من النقد ولم تمنع .

وقد أعلنت الحكومة في يوليو سنة ١٩٥٣ إلغاء القيود المفروضة على حرية تناقل الأخبار بين الداخل والخارج لأنها ليس عندها ما تخفيه ، ولا تخاف شيئاً .

ومنذ ذلك التاريخ لم تفرض رقابة خارجية ظاهرة . وزعم بعض المراسلين أنهم كانوا يقابلون بحفاء من الزعماء المصريين إذا أرسلوا برقيات تتضمن شيئاً من النقد ، ولكن لم يحاول أحد ، أن يمنعهم من إرسال ما يرسلون من برقيات . وفي نفس السنة أجرى التحقيق مع عدد من الصحفيين في القاهرة وقد أجرى التحقيق مع Alan Mc gregor وهو مراسل إنجليزي كان يعمل في الوقت نفسه في جريدة محلية ، كما حقق مع مندوبي جريدتي النيويورك تايمز ،

والدبلي إكسبريس اللندنية . وفي مايو سنة ١٩٥٣ طرد جاك مالهيه
Jacques Maleh مراسل جريدة « جويش كرونكل » اليهودية .

سوريا

يجمع المراسلون على أن الرقابة في سوريا رقابة مطلقة غير
منطقية : ويقولون إن المتاعب الحقيقية بدأت منذ أن قام حسني
الزعيم بأول انقلاب عسكري في سوريا سنة ١٩٤٩ . ومن قبل لم
تكن سوريا من البلاد التي يشكو منها المراسلون إلا فيما يتعلق
بالمسألة الفلسطينية . وخلال سنة ١٩٤٨ أظهر الممثلون حساسية
شديدة في كل الأمور المتصلة باليهود وإسرائيل ، وقد اعتقل وقتل
أمريكي من أصل سوري لأنه كان يوزع منشورات أصدرتها
الجمعية الإسرائيلية البريطانية .

وفي سنة ١٩٤٩ بلغت الحساسية الوطنية ذروتها . ويقول أحد
المراسلين : إن فقرة أضيفت إلى برقية لوكالة أنباء في مكتب
التلغراف . وقد تضمنت الفقرة نقداً عنيفاً لرئيس وزراء العراق
حينذاك .

وقد بين المراسلون أن قرب دمشق من بعض عواصم الدول
العربية جعل في الإمكان تفادي الرقابة السعودية ، وإرسال
البرقيات من تلك العواصم . فقرب بيروت من دمشق جعل إجراءات
مثل تقديم نسخة من البرقية إلى المكتب الثاني ، وحمل بطاقة صحافة

سوريا - جعل مثل تلك الإجراءات لا تعنى شيئاً ، وإن كانت
تضايق المراسل بعض الشيء (١) .

العراق

وصف المراسلون الرقابة في العراق بأنها متقلبة ، تشتد حيناً
وتخف حيناً ، وتختلف من أسبوع لآخر ، وأجل مراسل
أمريكي أثارها بقوله : يجب على المراسل أن يعمل لها حساباً ،
ولكنها على وجه العموم لا تمنع من تدفق الأنباء المشروعة .
وقال آخر : في العراق تستطيع أن تبرق بما تشاء من أخبار ،
ولكن عندما تتأزم الأمور يسدّون أمامك الباب ، وحدث أثناء
حفلات تتويج الملك فيصل الثاني في مايو سنة ١٩٥٣ أن تعطلت
برقيات النيويورك تايمز ، والاسوشيتد برس أكثر من ٤٨ ساعة .
وما علة ذلك ؟ كان الرقيب يحاول أن يتأكد من صحة برقية
أرسلها أحد الأتراك يقول فيها أن قبيلة وضعت بالقرب من قصر
الملك . وترتب على هذا أن وقت الرقيب لم يتسع للواقعة على
البرقيات المرسلة إلى الخارج .

(١) بعد سقوط الشيشكي أصدر البرلمان السوري في مايو سنة ١٩٥٦ قانوناً
للصحافة ينص على عقوبات شديدة على كل ما من شأنه أن يحرض على
حركات ضد الدستور أو على العصيان وترك للسلطات أمر الفصل في هذا الشأن .
وأصبح على كل جريدة أن تحصل على ترخيص قبل أن تصدر ، وهذا من شأنه
أن يساعد على الضغط على الصحف المعارضة . والرقابة السياسية تؤثر بالضرورة
على عمل المراسل الأجانب عندما يحاول أن يغطي أخبار سوريا .

وفي ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣ أعلنت حكومة فاضل الجمالي إلغاء الرقابة على البرقيات المرسلة إلى الخارج .

الأردن

في أيام الملك عبد الله كانت الرقابة في يد القصر ، وكانت تركز أصلاً في الأخبار المتصلة بشئون فلسطين وإسرائيل، وسائل الأمن والقصر نفسه . ولم تكن الرقابة تشدد على المراسلين الزائرين، ولكنها كانت لا ترحم المقيمين منهم وبخاصة الوطنيين بحيث تجعل من الصعب عليهم أن يعيشوا برسائل أو برقيات فيها شيء من النقد للنظام القائم .

ووصف أحد المراسلين الأمريكيين السلطات الأردنية سنة ١٩٥٠ بأنها حساسة جداً ، ولكنها عادلة ؛ وكانت في بعض الأحيان تحذف أشياء من البرقية تنصح المراسل بذلك قبل إرسال البرقية . ومن أمثلة ذلك أن برقية أرسلت في عيد ميلاد المسيح تحذف منها ما يتصل بجلاء القوات المصرية عن بيت لحم . وكان السبب أنه كثيراً ما دب الشجار بين أفراد القوات المصرية ، وقوات الفيلق العربي ، وكانت السلطات تريد أن تبدو بيت لحم هادئة في يوم العيد . ولكن سمح للمراسل أن ينتقل ببرقيته عبر الخطوط الإسرائيلية لأن إمكانيات الإرسال كانت متوافرة هناك ، وقد أقسم المراسل بشرفه للسلطات العربية ألا يضيف شيئاً إلى

البرقية كانت تلك السلطات أمرت بحذفها .
ويقول المراسلون الذين زاروا الأردن سنة ١٩٥٣ أن مكتب
التلغراف في عمان كان يطلب ثلاث نسخ من البرقية التي يراد
إرسالها للخارج . ووصف أحد المراسلين الرقابة هناك بأنها متقلبة
ولكنها ليست صارمة . ويقول آخر أن بعض رسائله كانت تمطل
بعض الوقت وبخاصة إذا كانت تتضمن أخباراً عن العلاقات بين
الأردن وإسرائيل .

لبنان

يقول أكثر المراسلين إن بيروت ، عاصمة لبنان ، هي الميناء
الحر لإرسال أية برقية ، وقليل منهم من ذكر أنه لاقى صعوبات
فيها . إلا أن خلال الحرب في فلسطين فرضت السلطات اللبنانية
بعض القيود ، كما فرضت مثل تلك القيود في أواخر رئاسة الشيخ
بشارة الخوري سنة ١٩٥٢ ، فقد ضيق على المراسلين عندما اشتد
النقد الموجه إلى حكومة بشارة الخوري في الخارج لما دب فيها
من فساد . ولم تكن تمت قواعد معينة ، وكان الرقيب يرفض
البرقية على أساس أنها تسيء إلى سمعة لبنان وحسب . ولا تزال
السلطات اللبنانية تثار تأثرتها إذا سادت الأمور الداخلية على غير
ما تحب . وحدث هذا في ديسمبر سنة ١٩٥٣ عندما ارتابت
الحكومة في وجود مؤامرة عسكرية لقلب الحكم .

العربية السعودية والبحرين

قليلون جداً من المراسلين من يزورون العربية السعودية وذلك لغرابة موضوع الرقابة هناك . ويقول أحد المراسلين الذين زاروها إن خير طريق لإرسال البرقيات هو طريق البحرين مع أن في جدة إمكانيات لإرسال البرقيات ، والصحافة المحلية في العربية السعودية تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة . والحكومة شديدة الحساسية لكل نقد يوجه إليها في الخارج .

الخليج الفارسي

لا يعرف شيء عن الرقابة في البحرين والكويت .

السودان

لم تكن هناك رقابة ما في السودان .

إيران

يرى أغلبية المراسلين أن إيران أسوأ بقعة في منطقة الشرق الأوسط كله فيما يتعلق باستيفاء تغطية الأخبار . وكل من الرقابة والتدخل في شئون المراسلين يتخذ أشكالاً متفاوتة من الحذف إلى الطرد وما هو أشد من ذلك وأنكى . والقواعد التي تطبقها الحكومة لمنع الأخبار غير المرغوب فيها قواعد مطاطة وغير محددة . فقد

يقابل المراسل بجناء من المستوامين، وقد يتلقى تهديدات مهذبة منهم . ولكنه يستمر في جمع الأخبار ، إلى أن يأتي يوم يتلقى فيه أمراً بالحضور أمام السلطات التي تمهله بضعة أيام لمغادرة البلاد . وتستند إيران في إجراءاتها المشددة ضد المراسلين على المادة (٢٩) من ميثاق الاتحاد الدولي للاتصالات التلغرافية التي تخول للأعضاء حق وقف أى اتصال يظهر أنه خطر على أمن الدولة ، أو مخالف لقوانينها ، أو يبدو أنه ضد النظام العام أو مناف للآداب . وفي نوفمبر سنة ١٩٥٢ أعلن حاكم طهران أن على المراسلين أن يتحملوا مسؤولية البرقيات التي يعشون بها إلى الخارج تحملاً كاملاً .

وبين اللحظة التي يشير فيها المسئولون إلى المراسل بأنه يسير في اتجاه لا يرضيهم ، واللحظة التي يتلقى فيها الأمر بمغادرة البلاد ، بين هذه وتلك وسائل متعددة لتخويف المراسلين . وقد قال أحدهم ما نصه : كان المسئولون يقرأون في مؤتمراتهم الصحفية بعض الأخبار التي نشرت في الخارج بقصد التنديد بالمراسلين الذين بعثوا بها إلى الخارج . وقال آخر : نبهوني مرة أو مرتين أن أعتدل في لهجتي عند التكلم عن حكومة إيران ، وإن كانوا لم يمنعوا شيئاً من برقياتي . وقال ثالث : للإيرانيين قدرة كبيرة على خلق المتاعب المصطنعة لمنع قصة خيرية لا تتفق مع النص الرسمي من أن تسلك طريقها إلى الخارج .

وقال مراسل رابع طرد من إيران : من الأمور المحيرة أن المراسل لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان يأخذ التهديدات الرسمية مأخذ الجذام الهزل ؟ . فقد هدد الدكتور حسين فاطمي ، مساعد مصدق الأيمن ، بوقف برقياتي التي يراها غير ودية . ومع هذا لم يحدث أن منع إحداها . ولكن تهديده كان بمثابة رقابة غير مباشرة على المراسلين الوطنيين الذين يعملون لحساب الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية . . . وظننت يوماً ما أنني تغلبت على المعاصب ، ثم لم ألبث أن وجدت نفسي مطروداً خارج إيران .
والتجربة التي مر بها ميشيل كلارك Michael Clark مراسل النيويورك تايمز الذي طرد من إيران في ديسمبر سنة ١٩٥١ خير مثل على ما نقول . فقد روى كلارك قصته بعنوان :
« التايمز تتكلم » .

ففي خلال الاضطرابات التي وقعت في طهران والتي قتل فيها ديمتري كابلا نوجلو مراسل جريدة « إيليفثيريا » اليونانية ، والتي خربت فيها دور الصحف المعادية ذهب كلارك لحضور المؤتمر الصحفي اليومي للدكتور فاطمي ليسأل بعض الأسئلة . وعلى أثر ذلك كتب كلارك يقول : أبلغت أن الدكتور فاطمي يريدني في مكتبه الخاص . ولما دخلت عليه وجدته هائجاً ثائراً ، ووجدت أمامه قصاصة من جريدة « النيويورك تايمز » وبها برقية أرسلتها

منذ أيام قليلة عن جوار العرب والفرع الذي يسرد طهران . وسألني فاطمي عما إذا كنت أنا كاتب البرقية أم لا ؟ فلما أجبته بالإيجاب انهل على بسيل من الألفاظ الشديدة نطقها بالفرنسية فهمت منها أنني أهنت الحكومة ، وأنني عميل لشركة البترول الإيرانية البريطانية السابقة ، وأن أمامي ٤٨ ساعة فقط لمغادرة البلاد .

فقلت له : يا عزيزي الدكتور ، إذن فأنت تتهمني حقيقة بأنني عميل لشركة البترول الإيرانية البريطانية . فأشار إلى بأصبعه وفي لهجة مسرحية قال لي : أنا أتهمك .

ولما استطعت بعد ذلك أن أتكلم قلت له إن أحداث اليوم تؤيد ما ذهبت إليه في برقيتي . فزادت هذه الملاحظة من ثورة فاطمي ، ثم غادرت مكتبه .

وكان أول شيء فعلته أنني أبلغت السفارة الأمريكية بما حدث . وبعد نصف ساعة ذهب هندرسون Henederrson السفير الأمريكي لمعابلة الدكتور مصدق رئيس الوزراء لبحث معه موضوعي . وطلب السفير من مصدق إلغاء أمر الطرد ، وإصدار تكذيب أو تصحيح إذا كانت البرقية تخالف الواقع كما جرى العرف بذلك . ولكن مصدقاً لم تلت له قناة ، وأصر على أنني مقترف جريمة القذف . ثم أضاف أنني أستطيع البقاء في إيران بشرطين

أن يسد السفير نفسه بياناً يكذب فيه ما جاء في البرقية ، وأن أنشر أنا تكذيباً رسمياً باسمي وتوقيعي . ورفض السفير كلا الشرطين ، وانهت المقاتلة بين السفير ومصدق بهذه النتيجة .

وبعد ذلك حضر ضابط إلى الفندق الذي أقيم فيه . وصحبنى إلى مركز البوليس ، وهناك ألغوا تصريح الإقامة الممنوح لي ، وأعطوني تأشيرة خروج تظل قائمة المفعول لمدة ٤٨ ساعة .

وكان كلارك هو ثالث مراسل يؤمر بمغادرة إيران خلال سنة ١٩٥١ ، وقد طردها نيكولسن Haig Nicholson مراسل رويتر ، كما طرد سيفتون ديلر Sefton Delmer مراسل الديلي اكسبريس في يونيو من نفس العام . وأصبح عدد المطرودين حتى نهاية يناير سنة ١٩٥٤ عشرة مراسلين . وسجن مراسل وطني واحد في تلك المدة ، وكانت الأسباب التي تذرعت بها السلطات الإيرانية لطرده هؤلاء المراسلين أسباباً مبهمه ، وقد أجملت في الاتهام الذي وجه إلى مارك بوردو مراسل الأسوشيتد برس وقد طرد في مايو سنة ١٩٥٣ . وتتخاص التهمة في : ، نقل الأخبار الكاذبة والمثيرة والتي تتعارض مع مصالح إيران ، .

ولما ذهب مصدق وتلاه في الحكم الجنرال زاهدي وذلك في أغسطس سنة ١٩٥٣ لم يأمن المراسلون على أنفسهم من الطرد ، وإن كان مراسل بريطاني عانى الكثير في عهد مصدق يقول إن الأمور تحسنت في عهد زاهدي .

ولكن في أكتوبر سنة ١٩٥٣ أمر دافيد وودكر David Walker مراسل جريدة « نيوز كرونكل » بمغادرة البلاد . كما طرد جاستون فورييه Gaston Fourrier مراسل الوكالة الفرنسية في فبراير سنة ١٩٥٤ .

وروى فورييه قصة طرده ، والشبه واضح بينها وبين قصة طرد كلارك . قال فورييه : بعد سنتين من تمثيل الوكالة الفرنسية في إيران ، وبعد ثلاث سنوات في براغ لم أدهش عندما وصل جنديان من جنود البوليس إلى منزلي في طهران يوم ٢٤ يناير ، وطلباني أن أصحبهما . وكنت طريح الفراش أشكو مرض السل . ورفضت الذهاب معهما ، ولكنهما ألحا . فطلبت منهما أن يسمحا للقنصل الفرنسي أن يذهب معي على الأقل إلى مركز البوليس .

« وسألني مدير الأمن عما إذا كان صحيحاً أنني بعثت إلى وكالتي منذ ثلاثة أيام برفقة عن حوادث وقعت في عبادان أثناء الانتخابات . وأجبت بأنه صحيح . ثم أشرت إلى أن اثنين من أمهات الصحف في طهران نشرتا الخبر ، ونبهته إلى أن الصحافة الإيرانية خاضعة لرقابة الحكومة مما يدل على أن الخبر صحيح . وبعد أن أثبت له صحة المعلومات التي أتحمّل مسؤوليتها كاملة ، رفضت أن أصرح بشيء عن المصادر التي استقيمت منها الأخبار .

« واتصل الرجل تليفونياً بالجنرال زاهدي ، ثم أبلغني أنه

تقرر طردى ، وأن على أن أغادر إيران في خلال ٤٨ ساعة .
ولكنى استطعت بعد ذلك أن أحصل على مهلة أخرى بسبب سوء
صحتى ، وحتى تتمكن وكالتى من إرسال مندوب يحل محلى . وتدخل
السفير الفرنسى الذى طلبت منه الحكومة الفرنسية أن يقدم إلى
حكومة إيران احتجاجاً شديد اللهجة بسبب تصرفها معى . وبعد يومين
حضر إلى منزلى ثلاثة جنود لحمل على مغادرة البلاد فى الحال .

« فأبلغتهم أنتى مريض ، وأنتى أمهلت بعض الوقت ، وأفهمتهم
أنهم لو أصرروا على حملى على مغادرة إيران فى الحال فإنى مضطر إلى
إبلاغ زملائى الصحفيين فى طهران ومصرى الصحف . ولن أغادر
البلاد إلا وأنا أرتدى « البيجاما ، على نحو ما يفعل مصدق سواء
بسواء . فلم يسمع الجنود أمام هذا كله إلا أن ينصرفوا .

« وتقابلت مع الجنرال فارزنجان وكان يجمع بين وزارة الدعاية
ووزارة البريد والتلغراف ، وهو أمر غريب ، وسأله أن يلغى
قرار الطرد . فقال لى إن برقياتى ليست أمينة ، ولكنه لم يستطع
أن يقدم لى دليلاً واحداً على صدق ما يقول .

« فأبنت له ، على خلاف ما يزعم ، أن الرقابة غير المشروعة على
الصحافة وأن تدخله بوصفه وزيراً للبريد وقراءته سراً للبرقيات ،
كل هذا حملنى على أن أزيد من تفاصيل الصورة التى أرسمها للوضع
القائم فى إيران وهو الوضع الذى جاوز المعقول . ومع هذا فقد

رفض أن يلغى قرار الطرد ، ثم بدأ عليه أنه يضايقه أن أكتب وأنا خارج إيران ما لم أكن أستطيع أن أكتبه وأنا في داخلها .

• ولما حان وقت رحيلي يوم ١٨ فبراير أمرت سلطات المطار رجال الجمر ك أن يدققوا في تفتيشي ، وتفتيش زوجتي . وقد استغرق هذا التفتيش أكثر من ساعة ، وأدركت حينئذ أن القصد بذلك إهانتى ، وأخيراً سمح لي بركوب الطائرة .

• ثم إن الجنرال فارزنيجان أعرب لصحفي إيراني يمثل وكالة أنباء أجنبية في طهران ، استحالة نقل أخبار إيران نقلاً كاملاً ودقيقاً . إذ قال له الجنرال أثناء مؤتمر صحفي : بينك وبين السجن نفس المسافة التي بين تليفوني ومكتب رئيس البوليس !!!

إسرائيل

فرضت الرقابة العسكرية في إسرائيل منذ مولدها سنة ١٩٤٨ لأنها منذ ذلك التاريخ وهي في حالة حرب فعلية أو رسمية بينها وبين الدول العربية المجاورة لها . ويتحتم على كل مراسل هناك أن يقدم نسخة من برقيات المرسلات إلى الخارج في مكاتب الإعلام العام في تل أبيب أو القدس . وفي هذا المكتب ترسل النسخة إلى مكتب

التنازلات لإرسالها كأي ما لم يمحذف منها الرقيب شيئاً بعد التشاور مع المراسل صاحب البرقية .

ويقول المراسلون إن الرقابة العسكرية كانت صارمة خلال الحرب الفلسطينية وخلال السنوات الأولى التي كانت فيها إسرائيل تحاول أن تتف على قديمها . وذكر بعض المراسلين أن الرقابة لم تكن دائماً ذات طابع عسكري . وقال أحدهم إن في إسرائيل رقابة اقتصادية كذلك تمنع المراسل حتى من ذكر سعر الجنيه الإسرائيلي في بعض الأحيان . وقد منع الرقيب خبر نقل اليهود النينيين بالطائرات من عدن إلى إسرائيل . واستمر منع هذا الخبر بضعة شهور ، واعتبر سراً من الأسرار التي لا يصح إذاعتها .

وبانتهاء القتال الفعلي بين العرب واليهود حدث تغير ملحوظ ؛ قال مراسل أجنبي : لقد منح الصحفيون كل التسهيلات الممكنة ، وأظمر الرقباء استعدادهم للتعاون مع المراسلين لتفادي أسباب الخلاف بينهم .

ومن جهة أخرى ذهب مراسل ثالث إلى وجود نوع من الرقابة غير المباشرة تتمثل في الضغط وعدم التعاون وبخاصة مع المراسلين الوطنيين الذين يرسلون صحفاً ووكالات أنباء أجنبية . والصحف المحلية خاضعة ، كذلك ، للرقابة القوية . وعلى كل صحيفة أن تقدم نسخاً منها للرقابة لفحصها . وكثيراً ما يمحذف الرقباء أجزاء كثيرة .

من الصحف التي تتجه إلى أقصى اليسار بالرغم من ادعاء الرقابة أنها لا تتناول الشؤون السياسية بالحذف أو التغير .

وقد ظهر أثر التشنط الأدبي في حادث وقع لمراسل أمريكي .
ففي شتاء سنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ نقل هذا المراسل إلى جريدته خبر
إضراب ١٤٠ يهودياً هندياً طالبوا بالعودة فوراً إلى الهند ، وأجيبوا
إلى طلبهم . وقد أثار الخبر سخط السلطات الإسرائيلية ، وعبرت
وكالة الأنباء اليهودية عن هذا السخط ، وأعلن المراسل الأمريكي
أنه الوحيد الذي نقل هذا الخبر كاملاً . مع أن الرقابة الرسمية
لم تمنع نشره .

الرقابة على الصور

يشكو المراسلون الذين يهتمون بالصور مر الشكوى من القيود
الصارمة التي تفرضها بلدان الشرق الأوسط على الصور . وقال
مراسل سويسري : هناك مشكلة لا يمكن أن نوفيها حقها من
التوضيح ، وهي المشكلة التي يعاني منها مصورو الصحف ؛
ولا أقصد النظرة العدائية الطبيعية من جانب رجل الشارع ،
ولكن أقصد سوء فهم المسئولين لمهمة المصور الصحفي . فمن
المحرمات أن تصور حمراً في الطريق بالقرب من الأراضي

المقدسة في القسم العربي في القدس ، وقد سمح لي بتصوير المباني
لا الأشخاص . وأيد مراسل أجنبي آخر ما ذكر عن القيود
الشديدة التي تفرضها السلطات على التصوير . وبالرغم من أن
السلطات وعدت بتخفيف تلك القيود إلا أنها لم تف بوعدها ،
وتحريم التصوير معمول به كذلك في الأردن . أما في العراق
فالمراسل الذي اشتكى من القيود الإيرانية وجد قيوداً مشابهة
لها في تلك البلاد . ولكنه عندما التمس من السلطات تخفيفها
أجيب إلى ما طلب .

الفصل الثالث

مصاعب السفر

ليست الرقابة وحدها هي كل ما يعانيه المراسل الأجنبي من صعوبات في الشرق الأوسط . بل أن هناك صعوبة أخرى لا تقل عن الأولى ، من حيث قسوتها وشدتها على المراسل الأجنبي . وهذه الصعوبة الأخيرة تتصل بانتقاله من جهة إلى أخرى ، وسعيه وراء الحصول على « تأشيرة » الانتقال وغير ذلك من الإجراءات الرسمية المعروفة .

ويرى كثيرون من المراسلين أن مصاعب السفر وقيوده أشد أثراً في استيفاء الأخبار من الرقابة . وبما لا ريب فيه أن تغطية الكثير من أخبار هذه المنطقة ، ومن أحداثها الهامة يتعطل بسبب التأخير المقصود في منح المراسلين الأجانب تأشيرة الانتقال بين بلدان المنطقة . وغالباً ما أدى ذلك إلى الاعتماد على المراسلين المحليين الذين لا ينقلون الأخبار نقلاً مرضياً ، أو كافياً في نظر المراسل الأجنبي .

وفي مصر أو العراق ، ولبنان ، وسوريا ، والعربية السعودية ، وإيران يتحتم الحصول على تأشيرة دخول . مع أنه في أكثر

الأحيان لا يتيسر الحصول على هذه التأشيرة بطريقة سريعة .
وتأخير يوم معناه ضياع الفرص في نقل أخبار هامة . وفي إيران
— على وجه المثال — ذكر المراسلون أن الحصول على تأشيرة
الدخول قد يتم في أيام لا في يوم واحد .

أجل إن تأشيرة الدخول إلى بلدان الشرق الأوسط تستغرق
وقتاً ليس بالقصير ، لأن القنصليات والسفارات الشرقية في الخارج
لا تمنح تأشيرة الدخول إلا بعد استشارة حكوماتها . وقد ذكر مراسل
فرنسي يزار المنطقة كثيراً أن قنصليات مصر ولبنان وإسرائيل
تمنح تأشيرة الدخول في الحال ، وأما قنصليات العراق والأردن
وسوريا فتمنحها بعد استشارة حكوماتها . ويتطلب هذا وقتاً يتراوح
بين خمسة أيام وعشرة . وتمنح تأشيرة الدخول إلى إيران بعد ثلاثة
أسابيع . أما العربية السعودية فلا تمنح المراسلين تأشيرة الدخول
إليها إلا في حالات استثنائية .

وللمراسلين شكاوى أخرى تتعلق بتأشيرات الانتقال وهي
أن كلمة «مراسل» أو «صحفي» أو «محرر» تعني تعطيلاً
لا يعاني منه المسافر العادي . والسبب الذي من أجله يتحتم
الرجوع إلى وزارة الخارجية قبل منح تأشيرة الدخول هو أن لدى
كل حكومة في الشرق الأوسط قائمة سوداء بأسماء الصحفيين
الممنوعين من الدخول . ويقول بعض المراسلين إن أسباباً مبهمه

تدخل المراسل ضمن القائمة السوداء . بل إن أسماء بعض الصحف كذلك تدرج في هذه القائمة فيمنع مراسلوها من الدخول لئلا يتركبوا إنكاراً لتكبره مراسلون آخرون .

وقال مدير إحدى وكالات الأنباء : إن جنسية طالب التأشيرة مهمة في الحصول عليها . وقد دلت التجارب على أن طلبات الصحفيين من البلاد التي يعول على تأييدها في الميدان الدولي تحاب بسرعة .

والصعوبات التي تواجه المراسلين في الحصول على التأشيرة تتفاوت في الشدة من مراسل إلى آخر : قال أحدهم : أن التأشيرة عمل متعب ، ولكن مشكاتها في إضاعة الوقت . وقال آخر : إن منح التأشيرة قد يخضع للأهواء ، وليس من السهل التغلب على صعوبة الحصول عليها إلا بالخط ، وبنفوذ الأصدقاء ، وبالانتظار ساعات وساعات . وقال ثالث : إن الحصول على تأشيرة دخول إلى بلد عربي يتطلب معرفة أحد أصحاب النفوذ والسلطان في ذلك البلد . غير أنك متى دأبت على زيارة القنصاية ، وعلى إرسال برقيات إلى المسئولين في البلاد فزت بالتأشيرة في أسرع وقت ممكن .

وقد علق المراسلون على استخدام تأشيرة الدخول في الضغط على المراسلين الأجانب بقوله : في مصر يحتاج مد الإقامة إلى زيارات عديدة إلى وزارة الخارجية . ويطول

انتظارك . وتسمع تلميحات ذات دلالة ؛ وذلك إذا كان المسئولون
منك قد ضايقهم شيء مما كتبت أو نقلت من أخبار . وفي
سنة ١٩٤٨ لم يمنح ريتشار مورير تأشيرة الدخول إلى مصر لتمثيل
إحدى وكالات الأنباء بحجة أن الحكومة المصرية لا توافق على
سياسة جريدتين من الجرائد التي تنشر رسائله . وقال مراسل
آخر : إن استخدام التأشيرة بوصفه شكلا من أشكال الضغط
يختلف من مراسل لآخر ، وهي أشد تأثيراً بالنسبة إلى
المراسل المقيم .

وذكر بعض المراسلين مصاعب خاصة صدرت من بلاد مختلفة
على النحو التالي :

في العراق

قال أحد المراسلين : لم أعان من متاعب التأشيرة كما عانيت
في العراق . فقد أخرج منحى التأشيرة شهرين كاملين لأن
العراقيين في القاهرة أصرروا على استشارة حكومتهم في بغداد .
وحدث لي نفس الشيء وأنا في طهران سنة ١٩٥١ . واحتجت إلى
تأشيرة دخول إلى العراق . وحصلت على تأشيرة أخرى بشيء من
السهولة وأنا في القاهرة وذلك في بداية عام ١٩٥٣ .

ولأسباب مجهولة منع مراسلان أمريكيان من دخول العراق .

لبضعة أشهر خلال عام ١٩٥١ وبالرغم من أنه لم يتم تبليغهما أنهما غير مرغوب فيهما لم يحصلوا على تأشيرة الدخول .

قال بعضهم : إن طلب تأشيرة الخروج من سوريا أمر يكاد يذهب بالعقل . وقال آخر : في مرة كنت قادماً من طهران إلى بيروت ماراً بدمشق ، فأخذ منى جواز سفرى وحجز لمدة ثلاثة أيام قضيتها في الميرا .

في العربية السعودية واليمن

نادراً ما يسمح للبراسلين الأجانب بدخول الأراضى العربية السعودية . وطلبات الحصول على تأشيرة الدخول ترسل دائماً إلى الرياض . ويتأخر البت فيها لمدة طويلة . ويقتصر منح تأشيرة الدخول على أماكن معينة هي في العادة جدة والظهران . وعند مغادرة البلاد يجب الحصول على تأشيرة خروج أيضاً . وبما يزيد من صعوبة الحصول على تأشيرة الدخول أن العربية السعودية تحتفظ بقائمة سوداء طويلة وملأى بأسماء المراسلين والصحفيين .

وقال مراسل آخر : إن وسائل السفر داخل العربية السعودية واليمن سيئة للغاية ، والطريق الطبيعى إلى العربية السعودية هو طريق شركة أرامكو (شركة البترول العربية الأمريكية) ، وإن

هذا الطريق أصبح غير ميسور بعد النزاع حول ملكية منابع البترول .

وقال مراسل ثالث : من المستحيل دخول اليمن . فلا تصدق أى شخص يقابلك فى الأمم المتحدة أو جامعة الدول العربية ويدعوك لزيارة اليمن . فعند الحدود يقول لك المسئولون أنهم لم يسمعوا شيئاً عنك أو عن الشخص الذى دعاك .

فى إيران

الطريقة الوحيدة للحصول على تأشيرة دخول إلى إيران هى أن يكون للبلد الذى ينتمى إليه المراسل سفارة أو مفوضية ، تسعى للحصول على تأشيرة له ، أو يكون لجريده مراسل وطنى هناك يساعده فى الحصول عليها . هذا ما يقرره أحد المراسلين . وهو يقول ، كذلك ، أنه لا بد أن تصدر وزارة الخارجية الإيرانية تعليماتها إلى المفوضية التابعة لها فى الخارج لمنحك التأشيرة فى كل مرة تطلبها ولو سبق لك الدخول إلى إيران ثلاثين مرة . ويقول مراسل آخر : كنت فى إيران فى الوقت الذى كانت فيه هناك بعثة ستوكس لإجراء محادثات بشأن النزاع حول البترول . ومنذ ذلك التاريخ حاولت الدخول إلى إيران مرتين . وفى المرة الأولى انتظرت ثلاثة أسابيع فى دلهى قبل أن يأتينى الرد بالرفض . وفى المرة الثانية كنت فى

القاهرة ، ورفض الإيرانيون منحى تأشيرة الدخول . فاحتلت على دخول إيران بأن ركبت الطائرة إلى الهند . وفي مطار طهران غادرت الطائرة . وتسبب عن فعلتى هذه بعض مشكلات مع السلطات الإيرانية ، ولكنى لم أهتم لها طالما أصبحت داخل إيران .

حظر السفر بين الدول العربية وإسرائيل :

هناك صعوبة كبرى من مصاعب السفر فى الشرق الأوسط وهو حظر السفر بين الدول العربية وإسرائيل . ذلك أن الحكومات العربية تطبق قرار جامعة الدول العربية بمنع الأشخاص الذين يحملون تأشيرات إسرائيلية من الدخول إلى البلاد العربية . ويقول أحد المراسلين : إن أسوأ مشكلة هى استحالة السفر من الدول العربية إلى إسرائيل بالسيارات أو بالسكك الحديدية .

والقرار السالف الذكر لا يطبق على كل حالة ، فقد يسمح للمراسل أجنبى بدخول بلد عربية حتى لو كان معروفاً أنه زار إسرائيل على شرط ألا يحمل جواز سفر موقع عليه من السلطات الإسرائيلية . وحظر السفر بين إسرائيل والدول العربية يجعل من المستحيل على المراسل الواحد أن يستوفى أخبار إسرائيل والعالم العربى بانتظام ، وهذا من شأنه أن يزيد من صعوبة نقل أخبار الجانبين نقلاً أميناً لا أثر للتحييز فيه .

والوسيلة الوحيدة للتغلب على حظر السفر هو الطيران إلى قبرص ثم الحصول على تأشيرة دخول إلى إسرائيل على ورقة منفصلة عن جواز سفره ، وهي عملية توافق عليها السلطات الإسرائيلية . . وذكر أحد المراسلين الأوربيين أنه لاقى صعوبة في الحصول على تأشيرة دخول من إحدى مفوضيات إسرائيل في الخارج .

وعلاوة على حظر الانتقال من إسرائيل إلى البلاد العربية وبالعكس نجد هناك القيود المفروضة على التنقل في المناطق العسكرية على جانبي الحدود . ولا بد من الحصول على إذن خاص للذهاب إلى تلك المناطق .

وعلى كل^٣ فالخاسر الحقيقي كما صرح بعض المراسلين بذلك هو العرب . ومن الأمثلة على ذلك ، أنه لما وقع الاعتداء الوحشي الإسرائيلي المدبر على قرية القبية الأردنية في أكتوبر سنة ١٩٥٣ . وهو الاعتداء الذي ذهب ضحيته ٤٢ عربياً ، ذكر المراسلون أنهم وجدوا صعوبة في الحصول على إذن لزيارة المنطقة التي وقع فيها الاعتداء ، وعجز المصورون على التخصّص عن الوصول في الوقت المناسب لأخذ صور الضحايا التي كانت ستثير عطف العالم على العرب وسخطه على إسرائيل .

وذكر المراسلون بعض المصاعب التي يلاقونها في التنقل في

أنحاء أخرى عدا المناطق القريبة من إسرائيل . فقال أحدهم أنه وجد مشقة كبيرة في الذهاب إلى شرق سوريا بالقرب من نهر الفرات بدعوى أن المنطقة ذات أهمية عسكرية . وفي الأردن يحرم على المراسلين الاقتراب من المناطق التي يجري فيها الجيش العربي مناورات .

وفي إيران حدث خلال أزمة البترول بينها وبين بريطانيا أن وضعت عبدان تحت الحكم العسكري ، ولم يسمح بالسفر إليها إلا بتصريح خاص من طهران يتجدد على فترات متقاربة . وقال أحد المراسلين أنه كان من الصعب جداً الحصول على مثل هذا التصريح ، وقال آخر إن الحصول عليه يتوقف على مدى رضا السلطات الإيرانية عن المراسل . وقال ثالث أنه لا بد من الحصول على تصريح خاص عند السفر خارج طهران بمسافة أكثر من ٥٠ ميلاً ، وأن التصريح يمنح عادة بعد أسبوع من تاريخ طلبه .

وفي العربية السعودية قال المراسلون القلائل الذين زاروها أنهم وجدوا من المستحيل الانتقال بعيداً عن الجهة التي جاءوا إليها . وبالجملية تتفق آراء المراسلين فيما يتعلق بتأشيرة السفر ومصاعبه الأخرى على أنه إذا كان عند المراسل فسحة من الوقت استطاع دخول منطقة الشرق الأوسط على شرط ألا يكون اسمه مدرجاً في القائمة السوداء في أي من بلدانه . وإن كانت العربية السعودية

والذين تسببوا في إرسالين متاعب خاصة . ومتى أصبح المراسل داخل
بلد من بلاد الشرق الأوسط وجد نفسه مقيداً في كل تنقلاته .
ثم لا بد أن يضع عليه بعض الوقت في محاولة الخروج . ولكن
بما لا شك أن أقل هذه المصاعب يجده المراسل في مصر ، وفي
لبنان ، وفي البلاد التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني . ويجد أكثر
المتاعب في العراق وفي إيران . وعلى أي حال فالكثير مما يجده
المراسل من كل ذلك يتوقف على اتصالات المراسل وعلى حسن
حفظه في العادة بما دامت القيود المفروضة على السفر وإعداد القوائم
السرداء متروكة للظروف والآهواء .

الفصل الرابع

إمكانيات الحصول على الأخبار

أشار كثير من المراسلين الغربيين إلى أن هناك عائقاً يحول دون نقل الأخبار من الشرق الأوسط : وهو الريبة التي يواجهون بها عند سعيهم وراء هذه الأخبار . وذكروا لذلك ثلاثة أسباب :

الأول : يعاني المراسل كثير، من سوء تقدير بعض البلاد العربية للصحافة باعتبارها مهنة، وبخاصة في العراق . مع أن كبار كتاب العرب يكتبون التعليقات الصحفية المهمة فيرفعون بذلك من قدر الصحافة والصحفيين ؛ إلا أن جامعي الأخبار لا يحظون بتقدير كبير في تلك البلاد . لأنهم لا ينتقلون إلى الصحافة باعتبارها خدمة عامة بقدر ما ينظرون إليها على أنها طريق إلى الشهرة أو المال أو النفوذ السياسي . وبما لا يساعد على رفع قدر الصحفيين كذلك انخفاض مستوى الصحافة العربية والإيرانية .

الثاني : من الأمور التي تعوق عمل المراسل انتماءه إلى دولة أجنبية معينة . وكثيراً ما يؤثر موقف الدولة الأجنبية من قضية من قضايا دولة شرقية في المراسل الذي يتبعها في العمل الصحفي الذي يزاوله . وقال مراسل أمريكي : يقابل المراسل في الشرق الأوسط

دائماً بالارتباب ، لأن العرب يعرفون جيداً أن صحافة أمريكا تقف ضدهم . ولذلك يترددون في تقديم المعلومات لئلا تستخدم ضدهم على أى وجه من الوجوه .

وخلال أزمة البترول فى إيران ، قوبل المراسلون الأمريكيون بالارتباب مع أن النزاع لم يكن يتصل بإسرائيل ، ولكن لأن وزارة الخارجية الأمريكية كانت تفتنى أثر سياسة بريطانيا الخارجية .

والحق أن كل عمل تقوم به أمريكا متصلاً بهذه المنطقة يؤثر فى المراسل الأمريكى . فإن حديثاً لرجل ، كدين أنشيسون ، ينطوى على تأييد بريطانيا يكفى لأن يغلق الباب فى وجه المراسلين الأمريكيين فى طهران لفترة من الزمن ، بالرغم من أن أكثر المراسلين بذلوا جهوداً كبيرة لإقناع أهل المنطقة أنهم غير مرتبطين بأفعال حكوماتهم وبسياستها العامة .

يقول مراسل إنجليزى : وضع المراسلون الإنجليز فى إيران تحت رقابة شديدة حتى قبل قطع العلاقات الرسمية بين إيران وبريطانيا . ولم يكن يسمح لهم بزيارة عبدان أو زيارة أى ناحية من نواحى خوزستان . وكان هؤلاء المراسلون يحصلون على أخبار تلك المنطقة الهامة من غيرهم من المراسلين الأجانب ، أو من

الإشاعات التي كانت تعبر الحدود إلى بغداد ، أو تعبر الخليج الفارسي إلى الكويت .

ثالثاً : تحاول السلطات العربية تضيق الدائرة التي يعمل فيها المراسل الأجني ، وقصر نشاطهم على أضيق نطاق ممكن لأنهم يعتقدون أن المراسلين ينقلون أخبار عالمهم نقلاً غير أمين . ويقول أحد المراسلين الإنجليز : إن صورة العراق — مثلاً — قد أسوءت تقديمها في صحافة العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حد جعل المسؤولين هناك أصبحوا يخشون الصحافة الأجنبية .

وأضاف المراسل قوله : إن الحرب مع إسرائيل زادت من المصاعب التي تواجه المراسلين الذين يعملون في البلاد العربية ؛ لأن الدعاية الإسرائيلية نجحت في تشويه صورة العراق في صحافة الخارج في الوقت الذي لا يجد فيه المراسلون الحيز الكافي في صحفهم لتقديم الحقائق غير المثيرة . ومن ثم أصبح المسؤولون لا يعتقدون بسهولة أن أحداً من هؤلاء المراسلين حاول أن يفعل ذلك .

ومهما يكن من شيء فمن السهل اكتساب العرب والمسلمين عامة متى فاز المراسل بثقتهم . وقلما وجد المراسلون صعوبة كبيرة في الاتصال بالزعماء وقادة الرأي هناك أو الحصول منهم على الأخبار . وقد دلت التجربة على أن الزعيم من زعماء العالم العربي يرفض مقابلة المراسل إذا ما اعتقد أن هذا المراسل يقف مرتفعاً غير

كريم منه أو من بلده . ومن جهة أخرى يجمع المراسلون على أن تأخير مواجيد مقابلة المسئولين ترجع إلى أسباب إدارية أو شكلية ، والتأخير في المواعيد في الشرق مرجعه في الغالب إلى عادة الشرقيين في عدم ضبط المواعيد ، وليس مرجعه إلى سوء نية من جانبهم . وقال أحد المراسلين إن الحصول على موعد لمقابلة أحد الزعماء يتوقف إلى حد بعيد على مكانة المراسل وعلى حسن طالعهِ أيضاً .

ومن ناحية أخرى فإن وجود معارضة ضد الحكومة في بعض بلدان الشرق الأوسط ، ورغبة المراسل في الوقوف على رأى الجانبين ، تسبب له بعض المتاعب .

وقد أورد أحد المراسلين قوله : إن وضع المراسلين الأجانب ، والصحفيين المحليين الذين يرسلون صحفاً أجنبية تحت رقابة البوليس أمر شائع في مصر وفي غيرها من بلدان الشرق الأوسط وذلك بعد الحرب العالمية الثانية . ولم تتخلص مصر إلا مؤخراً من نظرتها إلى النشاط الذي يقوم به المراسل عندما يحاول مقابلة زعماء المعارضة باعتباره نشاطاً هداماً . ويترتب على تلك النظرة آثاراً غير مستحبة بالقياص إلى المراسل الأجنبي .

وهناك مصاعب تعوق جمع الأخبار لا صلة لها بالسياسة ، منها قلة ترتيب المراسلين للصحفيين لعقد المؤتمرات الصحفية . ومنها أن حقائق الموقف لا تكون في متناول الوزير

أو المسئول الذي يرغب في معاونة الصحفيين والإدلاء إليهم بالتصريحات والأحاديث التي تأتي ضوءاً على الخبر الصحفي .

وكتب أحد المراسلين يقول : نعم . توجد مكاتب صحافة حكومية ، ولكنها قليلة النفع أو معدومة الجدوى للراسل الأجنبي ، فترى المسئولين في تلك المكاتب يترددون في تزويد المراسل حتى بأبسط المعلومات خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى فصلهم من العمل الحكومي . إن العلاقات العامة وخاصة فيما يتعلق بالصحافة لا تزال في طفولتها في الشرق الأوسط وذلك حتى في البلاد الأكثر تقدماً مثل مصر حيث يعقد فيها كثير من المؤتمرات الصحفية . ثم إن المراسلين يصفون تلك المؤتمرات بأن إجراءاتها ناقصة . وقال أحد المراسلين الموجودين في القاهرة : كثيراً ما يحمل المراسلون أن هناك مؤتمراً صحفياً . وليس لوزارة الخارجية المصرية متحدث رسمي . وفي وزارة الإرشاد القومي يعدون المراسلين بتقديم كل مساعدة ممكنة ، ولكن إذا وقع حادث هام لا يجد المسئولون فيها وقتاً لمقابلة المراسلين الأجانب .

ويشكو المراسلون في إسرائيل من ضعف الخدمة الإعلامية فيها ، ويصفها مراسل بأنها غير كافية ، ومثقلة بالعمل . وتقدم إلى المراسلين في إسرائيل معلومات ليسوا في حاجة إليها . ويضيف هؤلاء أن الإسرائيليين يظهرون مزيداً من الاهتمام بالمراسلين الذين يمثلون الصحف

الكبرى ذات النفوذ . وإن كان هذا العيب في خدمة الأخبار غير مقصور على إسرائيل أو الشرق الأوسط .

ويقول أحد المراسلين أن النقص في الخدمة الإعلامية في إسرائيل يعوق رغبة المسترلين فيها واستعدادهم لمقابلة الصحفيين والتحدث إليهم ، وإن كان المسئولون لا يقفون الموقف نفسه تجاه المراسلين الذين يمثلون الصحافة الشيوعية في الدول الغربية ، أو صحافة أوروبا الشرقية . وهؤلاء لا يجدون صدوراً رحبة إلا في دوائر أحزاب اليسار المتطرفة . كما أن تلك الدوائر لا ترحب بالمراسلين الأمريكيين أو الغربيين ، ما لم تعد لزيارتهم العدة وتأهب لها تأهباً كاملاً .

أما الأفراد باعتبارهم مصدراً من مصادر الأخبار ، فإن لهم شخصية جذابة . ولكنهم فارغون من المعلومات . ويقول مراسل في إيران : كثيراً ما أجد مصادر للأخبار ، ولكنها مصادر لا يعتمد عليها ، وغير موثوق بها . لأنها لا تقدم معلومات نزيهة أو صحيحة مائة في المائة . فمثلاً وجدت وزير الاقتصاد الإيراني شخصية يمكن الاتصال بها ، ولكنني لم أفز منه بمعلومات من أى نوع . مع أنني قدمت إليه كثيراً من الأسئلة المعدة . فالصعوبة الرئيسية إذن هي الحصول على معلومات صحيحة دقيقة ، وبخاصة من المصادر الحكومية الرسمية التي قد تكون راغبة في مساعدة المراسل ، ولكنها

تعبجز عن مده بالحقائق . ومن النادر ، كذلك ، الحصول على تعليق موضوعي من شخصية بارزة .

ويقول مراسل آخر : لسهولة الحصول على الأخبار يجب إنشاء مراكز الإعلام . ولا تجد مثل هذا المركز في عمان ولا في بغداد . ويوجد في دمشق مركز للإعلام . غير أنه ضعيف الإمكانيات على كل حال .

ويقول مراسل ثالث عن الأردن : لقد سررت بقدر مدهشت للشعور بالعلاقات العامة لدى المسؤولين في الحكومة أو في الجيش العربي . فمع أن الحكومة قليلا ما تعقد مؤتمرات صحفية أو تصدر بيانات رسمية فإنني وجدت من السهل مقابلة المسؤولين وفيهم رئيس الوزراء نفسه ، ووجدتهم شديدي النقد للغرب ، ولكنهم لا يحملون أية ضغينة للراسلين الغربيين . . . وللحكومة متحدث رسمي بلسانها ، ولكنه لا يعلم بالأحداث في الوقت الملائم ، ويخشى تقديم بيانات من غير أن يحصل على موافقة المسؤولين على ذلك . ويرى مراسل قام بزيارة العالم العربي عدة مرات أن الموقف فيما يتعلق بإمكانات الأخبار في الشرق الأوسط يتحسن تحسناً مطرداً . ويعلل ذلك بانتشار مبادئ الديمقراطية من جهة ، والخوف من أن رواية الجانب الآخر ^(١) للأخبار التي تصل إلى العالم قبل روايتهم لها من جهة أخرى .

(١) يعني بذلك إسرائيل .

آثار القيود

وصفنا في الصفحات السابقة بعض الآثار المباشرة الناجمة من القيود المفروضة على تدفق الأنباء في الشرق الأوسط . وبما لا شك فيه أن تلك القيود تؤثر في نقل الأخبار من حيث الكم والكيف في الوقت الذي تحتاج فيه أحداث تلك المنطقة إلى استيفاء أخبارها استيفاءً كاملاً . ومن شأن تلك القيود أنها تضطر المراسل أن يعتمد على الإشاعات ، والمعلومات غير الموثوق بها . وكذلك الرقابة تفسد ما جمعه المراسل . ومن شأن القيود ، كذلك ، أنها تبعده عن مسرح الأحداث ، وتتركه يسائل نفسه ما إذا كان الخبر الذي حصل عليه يستحق أن يصطدم مع المسئولين ، ويعرض نفسه للطرد من المنطقة .

هذه مصاعب جمة ، ومصاعب خطيرة ، ولكن يجب أن نتذكر أمرين . الأول أنه من الصعب التحكم في القيود ، وإن حسن طالع المراسل قد يلعب دوراً في هذا المجال . ولذلك اختلفت شكاوى المراسلين الذين يوجدون بالمنطقة في وقت واحد . والأمور الثاني لمن إحساس المراسلين الأجانب بضغط القيود المفروضة عليهم يختلف من مراسل لمراسل .

وأقل المراسلين تعرضاً لآثار القيود هو المراسل المتجول الذي

يتخذ مقره خارج المنطقة . فإذا ما واجته مصاعب في بلاد تركة
إلى آخر . وقد يعود إليه بعد وقت تكون فيه الأحوال قد تحسنت
بالنسبة إليه .

ويأتي المراسل الدائم للجريدة الكبرى في الشرق الأوسط ،
بعد المراسل المتجول في مدى التأثير بالقيود المفروضة في تلك
المنطقة ، وهو يستطيع بما يتاح له من مال أن يتجنب آثار هذه
القيود ، أو يستطيع أن يذهب إلى مكان ما ينقل أخباره في
حرية تامة .

وإذا ما وجد المراسل المتجول صعوبة في العودة فنفوذ
جريدته الكبرى يذل له الصعوبة . ومثل هذا المراسل يعمل في
الغالب في جريدة لا تسمى وراء الأخبار المثيرة ، ولا تطلب منه ،
كذلك ، أن يخاطر في سبيل الحصول على خبر تصنع منه عنواناً
عريضاً . ولقد عقب أحد المشتركين في البحث على هذه النقطة
بقوله : ينبغي أن تؤكد حقيقة هامة ، وهي أن الصحفيين
والمراسلين الذين يؤدون عملهم بجد ونزاهة ، ويمثلون صحفاً لها
اعتبارها ، يتمتعون بعلاقات طيبة مع السلطات العربية .

على أن المراسل الذي يتحتم عليه البقاء في بلد واحد لمد
صحف العالم بقدر كبير من الأخبار — هذا المراسل يتأثر إلى
حد بعيد بتلك القيود المفروضة على جميع الأخبار في الشرق
الأوسط .

وقال أحد كبار المراسلين الذين قضوا فترة طويلة في الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب العالمية الثانية : إن المراسل المقيم هو الذي يعاني أكثر من القيود من غيره ، مع أنه أكثر علماً بالمنطقة ، وأشد اهتماماً بها . والرجل الذي يحضر للحصول على خبر يأخذه ويعود من حيث أتى ، لا يكون مسئولاً مسئولية الرجل الذي يقيم فترة طويلة .

ومن الواضح أن أشد المراسلين تأثراً بتلك القيود هو المراسل الوطني . وسنناقش أمر المراسل الوطني في شيء من التفصيل فيما بعد . إلا أننا نستطيع أن نقول الآن إن المراقبين يجمعون على أنه قد ينجح المسئولون في التأثير على المراسل الوطني من ناحية عواطفه الوطنية ، عن طريق تخويله وتهديده بالانتقام منه إلى حد يجعله يتخلى عن الحيادة والنزاهة فيما ينقل من أخبار . وهذا القول يصدق على البلاد العربية ، وعلى إيران ، وعلى إسرائيل . ويقول مراسل أمريكي عن إسرائيل : يميل المراسلون الوطنيون هناك إلى تجاهل الأشياء التي لا تسر حكومتهم . . . وليس معنى ذلك أن الحكومة ترهب هؤلاء المراسلين . ولكن في حالات كثيرة يشعر المراسلون الوطنيون الذين راعوا النزاهة التامة أنهم غير مرضى عنهم من مكتب الإعلام العام ، ومن وزارة الخارجية الإسرائيلية . على السواء .

ويتفاوت الضغط الواقع على المراسل الوطنى وفقاً للظروف المحيطة به . فإذا عمل هذا المراسل لحساب صحيفة أجنبية عملاً إضافياً إلى جانب عمله الأصيل ، فلا شك أنه يزيد النتائج التى قد تترتب على نشاطه الصحفى . وقد انتقد أحد المراسلين المتجولين المراسل الوطنى لأنه كثيراً ما يحجم من أن يناضل فى سبيل حقه لاستيفاء موضوع من جميع جوانبه . ولكن يجب ألا نكيل بكيلين : فالمراسل الأجنبى إذا ما تعرض لمتاعب كبيرة عندما يحاول استيفاء موضوع ما فإنه ينقل إلى جهة أخرى ويلقى من الثناء والإكبار على صموده أمام المتاعب وإثارة الحقيقة على أى شئ آخر . والمراسل الأجنبى إذا ما طرد فلن يستطيع أن يطالب الصحيفة التى يرأسها بشئ .

فيجب إذن أن ندخل فى اعتبارنا الاختلاف فى مراكز المراسلين عند النظر فى الآثار الناجمة عن القيود المفروضة على جمع الأخبار .

وقصارى القول إن الرقابة وغيرها من القيود المفروضة تؤثر فى عمل المراسل على أى وجه من الوجوه ، ولكن قدرة المراسل ، وقدرة الوسائل الأخرى للإعلام إن وجدت تضعف أثر تلك القيود فى أكثر بلدان الشرق الأوسط . ومن النادر أن تمنع القيود من نقل أخبار حادث عن الحوادث ، ولن يتجاوز أثرها تأخير الأخبار أو تشويهها بعض الشيء .

ومن الذى يخسر بسبب القيود؟ لا شك أن الصحافة العالمية تتأثر بتلك القيود ، ولكن يجمع المراقبون أن القيود تضر بمصلحة الحكومات التى تفرضها أكثر مما تضر بالصحافة فى الخارج . وقال مراسل بحرب :

إن الرقابة لم تمنع قط خبراً من الوصول إلى الخارج ، ولكنها كثيراً ما أدت إلى ظهور أخبار مشوهة فى الصحف الأجنبية ، وكثيراً ما امتنع المراسلون من زيارة البلدان التى اشتهرت بشدة الرقابة فيها .

ولذا تحسن البلاد العربية صنفاً إن هى تخلت عن الرقابة ، وزادت من إمكانيات الصحف الأجنبية فى استيفاء أخبارها يتيسر إجراءات السفر .

ويرى هذا المراسل إن الدول العربية خسرت الكثير بمنعها المراسلين من حرية السفر بينها وبين إسرائيل . فقد ترتب على هذه المنع أن الصحف الأجنبية تركت أمر استيفاء أخبار إسرائيل إلى المراسلين اليهود أنفسهم ، والنتيجة المحترمة لذلك أن أخبار المنطقة تنقل بدرجة متفاوتة من درجات الموضوعية . فالمراسلون الوطنيون فى إسرائيل يعرضون قضية بلدهم فى إطار عاطفى أكثر مما يفعل المراسل الأجنبى الذى يزور إسرائيل بنفسه ، ويرى أحداثها بعينه . وهؤلاء المراسلون الأجانب ينقلون أخبار العرب فى

موضوعية تامة . ومن هنا يجيء التناقض بين الصورة التي ترسم لإسرائيل ، والصورة التي ترسم للعالم العربي في صحف العالم ، ولكن إذا سمح لهم بالسفر إلى إسرائيل لأدى ذلك إلى توازن تام في الموقف .

أجل إن الرقابة تسمى إلى الحكومة التي تفرضها على نحو ما ينهاه من قبل . فعندما تستخدم الرقابة في منع خبر من الوصول إلى الخارج ، فإن هذا الخبر يخرج ويصل إلى الصحف بعد أن تتناوله يد الحذف والتحرير . ومن ثم ترى الحكومة أن الرقابة أدت إلى غير ما ترغب فيه فترفعها ، ولكن بعد فوات الأوان . وفي هذه الحالة يجد المتحدثون باسم الحكومة أنفسهم مضطرين إلى إصدار بيانات تفسيرية كان الأولى أن تصدر منذ البداية .

ومسألة أخرى يتفق عليها المراقبون ، هي الأثر غير الحميد الذي تتركه القيود في نفس مندوب الجريدة أو مندوب الوكالة . وقد علق مراسل على هذا بقوله : ما أسهل أن يعادى المرء بلداً يسبب له المتاعب ، فالقيود غير الضرورية تضايقه ، ويضايقه أكثر شعوره أن هذه القيود تفرض على أشخاص ، ويعنى منها أشخاص آخرون ، وهذا من شأنه أن يؤثر في أشد المراسلين رغبة في أن يتحرى الدقة والنزاهة في عمله .

وإذا ما استمر المراسل يتعرض لمثل هذه المتاعب فلا شك أن أثر

ذلك يمتد إلى رئيس تحرير جريدته في الخارج ، ومن ثم لا نجد جريدة تحرص على الاحتفاظ برجالها في الشرق الأوسط . فهي تخشى أن استمرار التعرض للرقابة يجعله رقيقاً على ما يقع تحت يده من أخبار بطريقة تلقائية .

والمراسل المتجول يعاني من القيود ما يعانيه المراسل الآخر . فإذا ما أرغم على البقاء في أي من الجانبين العربي أو الإسرائيلي عجز عن أن يقدم صورة متوازنة للوقوف في الشرق الأوسط كله . وإذا ما أثرت الرقابة وقيود السفر في العالم العربي وإيران وعرقلت جمعه لأخبارهما حز هذا في نفسه .

نعم — قد يكون المراسل ضحية كل هذه المشكلات والمصاعب . ولكن الخاسر الأخير هو الحكومة التي تناصب المراسل العداء وتعوق عمله . والشكوى الدائمة للسلطات في الشرق الأوسط هي أن أخبار منطقتهم ينقلها مراسلون أجانب لا يفهمونهم ولا يفهمون أسلوب حياتهم . غير أنهم إذا كانوا يسلكون هذا المسلك الذي يضيق المراسل الخاص ، والمندوب المقيم فاللوم يقع على عاتقهم ، ولا لوم على الصحافة العالمية (١) .

(١) لا شك إن وجود حالة الحرب بين الدول العربية وإسرائيل هو الذي يفرض هذه القيود ، فلا يقل أن تسمح الدول العربية بحرية الانتقال لأي شخص كأننا من كان بينها وبين إسرائيل . والصحافة العالمية إذا شادت تحرر الدقة والموضوعية في أخبار الجانبين قلن تعوقها مثل هذه القيود .

(المترجم)

الفصل الخامس متاعب أخرى

تحدثنا إلى الآن عن نوعين من القيود التي يتقيد بها المراسل الأجنبي في بلاد الشرق الأوسط . وهما قيود الرقابة من جهة ، وقيود الإجراءات الرسمية التي تقف تجاه المراسل الأجنبي في انتقالاته بين بلاد المنطقة من جهة ثانية . كما تحدثنا عن إمكانيات الحصول على أخبار المنطقة ، وعن الآثار السيئة التي تركتها القيود السابقة في عملية استيفاء هذه الأخبار .

على أن هناك قيوداً أخرى ومتاعب كثيرة فضلاً عن الرقابة وقيود السفر . ذلك أن استيفاء أخبار المنطقة يكلف وكالات الأنباء والصحف العالمية نفقات كثيرة . ولا غرابة في ذلك فقد أصبحت تكاليف المعيشة عالية ، كما أن مسافات السفر طويلة ، وأجور البرقيات التلغرافية واللاسلكية مرتفعة إلى درجة كبيرة . وإذا كان في الإمكان تحسين وسائل الاتصال التلغرافي واللاسلكي في المنطقة ، فأمام المراسل صعوبة أخرى وهي أن هذه الاتصالات قد تنقطع أحياناً لأسباب سياسية ، وإن كانت مشكلات وسائل الاتصال متداخلة في نفقاته تداخلاً تاماً فإننا سنعالج كلا من المسألتين على حدة .

نفقات استيفاء الأخبار

مشكلة نفقات نقل الأخبار من الشرق الأوسط هي مشكلة وكالات الأنباء العالمية قبل كل شيء . . . وصحيح أن بعض رؤساء تحرير الصحف في أوروبا أوضحوا أنه لو خفضت النفقات نوعاً ما افكروا في إمكان الاعتماد على مراسلين خصوصيين ولو على أساس تعاوُن ، ولكن هذا لا يصدق إلا على الصحف التي تستمد أخبار الشرق الأوسط من وكالات الأنباء فقط .

أما الصحف التي تبعث بمراسليها إلى الشرق الأوسط فقد دبرت أمر مالبثها . والصحف الكبرى الغنية هي التي تطلب من مراسليها أن يوافقوها بأخبار المنطقة على نحو متصل منتظم . ويقول مراسل أمريكي : إن قليلاً من الصحف ترغب في أن تنفق مائة وخمسين دولاراً في الأسبوع على رجل بالإضافة إلى مرتبه للبقاء في الشرق الأوسط . ولا يعني هذا أن نفقات استيفاء الأخبار في الشرق الأوسط تزيد عن غيرها من مناطق أخرى من العالم . ويقول مراسل آخر أن نفقات الاحتفاظ بمراسل في الشرق الأوسط لا تزيد عن نفقاته في روما أو لندن ، وهي أقل منها في ستغافورة وهونج كونج .

ونفقات المراسلين تؤثر في وكالات الأنباء من نواح كثيرة . فوكالات

الأنباء تواجه نفقات جمع الأخبار من مراكز الشرق الأوسط
ثم توزيع هذه الأخبار من القاهرة أو من لندن . فإذا كان مركزها
الرئيسي في القاهرة فإن نفقات الحصول على الأخبار من بغداد ،
مثلا ، تقدر بنحو ١٠٠ جنيه لكل ٢٥٠٠ كلمة . ويتحتم لذلك
ضغط الأخبار التي تنقل برقياً ، وضغط نفقات الموظفين كذلك .
تواجه وكالات الأنباء صعوبة أخرى ، وهي أنه من المستحيل
أن تحصل الوكالة على إيراد محلي يغطي نفقات الاحتفاظ بمكتب كبير
هناك . وقد أشار مدير إحدى الوكالات إلى أن صحف العراق والأردن
ولبنان والإقليم الشمالي من الجمهورية العربية وحتى إيران لا تستطيع
أن تدفع أكثر من عشرين جنيهاً في الشهر لوكالة الأنباء ، وكثير
منها لا يشترك في أية وكالة ، وإنما تحصل على أنباء العالم من
الإذاعات الأجنبية .

ثم إن أجور البرقيات والمكالمات التليفونية اليومية تكلف
وكالات الأنباء كثيراً . وأجور البرقيات تختلف من بلد إلى آخر في
الشرق الأوسط . وتعتبر الأجور في بعضها أعلى أجور في العالم .
ويستطيع المراسل الذي يبرق من عدن ، مثلاً ، أن يستفيد من
رخص أجور البرقيات الصحفية في بلاد السكوتلندية البريطانية إذا كانت
برقياته مرسلة إلى لندن ، أما إذا كانت برقياته مرسلة إلى باريس فإن
الاجر يزيد بنحو ٥ بنسات . وإذا كانت مرسلة إلى هامبورج دفع ٨ بنسات

زيادة . وإذا كانت رسالة إلى نيويورك دفع ٣ بنسات زيادة .
ويزيد الأجر زيادة كبيرة كذلك إذا رغب المراسل في إرسال برقيات
مستعجلة . وهو يدفع ٦٨ سنتاً للكلمة الواحدة في البرقيات المرسلة
من بغداد إلى روما .

من ذلك نجد أن هناك تفاوتاً في أجور البرقيات مع العلم بأنه
يوجد اتفاق دولي يجعل أساس الأجر المشترك هو الفرنك الذهب .
ولكن هذا الاتفاق غير معمول به بالفعل في كثير من الدول ، لأن
كل دولة تترك حرة في فرض ما تشاء من ضرائب على أجور
البرقيات . وكثير من الدول تلجأ إلى زيادة إيراداتها من أجور
البرقيات من غير أن تكلف نفسها إخطار اتحاد الاتصالات
البرقية الدولي ، وإن كانت غير مجبرة على ذلك .

وتصعب المقارنة بين أجور البرقيات من بلد إلى آخر في منطقة
واحدة لوجود اتفاقات ثنائية في نطاق الاتفاق الدولي العام .
ولذلك كان أجر البرقيات الصحفية بين طهران وباريس ، وبينها
وبين روما ، وهامبورج ودلهي الجديدة ثلث الأجر التجاري
العادي . كما يقل أجر البرقيات الصحفية بين طهران ولندن ، وبينها
وبين نيويورك عن خمس الأجر العادي نتيجة لوجود اتفاقات ثنائية
بين إيران من جهة ، وتلك الدول المشار إليها من جهة أخرى . وهناك
اتفاق ثنائي بين إيران والولايات المتحدة يخفض أجور البرقيات

الصحفية المستعجلة بين البلدين إلى نصف الأجر التجارى العادى .
وبرغم أن من أهداف الاتحاد الدولى للاتصالات
التأخرافية حث الحكومات على خفض تعريفة البرقيات إلا أنها
لا تملك إلا أن توصى بذلك . وقد عقدت تلك الحكومات
مؤتمرين دوليين فى السنوات العشر الماضية لم تزد على أن تعلن
على أثرهما بأن الدول الأعضاء تعترف بضرورة تجنب فرض
ضرائب إضافية على أجور البرقيات ، ولكن قرارات المؤتمرين
لم تخرج إلى حيز التنفيذ .

وطالما ظلت أجور البرقيات مرتفعة فى الشرق الأوسط على هذا
النحو فإنها ستؤثر فى كمية الأخبار المرسلة من المنطقة إلى الخارج . وقد
قال مدير إحدى وكالات الأنباء إن أجور البرقيات المرتفعة هى العامل
الرئيسى الذى يمنع من تدفق الأنباء تدفقاً كاملاً من بلاد الشرق
الأوسط إلى الهند .

وتتحكم أجور البرقيات كذلك فى المعلومات التفسيرية التى
تضاف إلى أخبار الأحداث الهامة . وهنا يقدم كنجزيرى سمث
Kingabary Smith المدير العام لوكالة الأنباء الدولية فى أوربا
مثلاً من تجاربه الشخصية فى الاجتماع الذى عقده معهد الصحافة
الدولى فى لندن فى مايو سنة ١٩٥٣ . وكان سمث هو الذى نقل أخبار
النزاع الإيرانى البريطانى حول البترول . فقال أنه فى إحدى المرات

التي قطعت فيها المحادثات الجارية يومئذ بين البلدين وجد أن الضغط على مكاتب التلغراف في طهران شديد بحيث قدر أن رسالته ستأخر نحو ٢٦ ساعة على الأقل .

ولابد من الالتجاء في هذه الحالة إلى البرقيات المستعجلة التي يبلغ أجر الكلمة الواحدة فيها ٧٥ سنتاً . ولذلك لم يجد مفر آمن أن يكتب بالخبر المجرد ويترك أمر التفاصيل للقسم الخارجي في نيويورك . ويقول مراسل بريطاني آخر عن نفس الفترة أنه كان يرسل كل يوم برقيات يبلغ مجموع كلماتها ١٥٠٠ كلمة من طهران أو عبادان إلى لندن . مستخدماً البرقيات المستعجلة بسعر ٣ شلن للكلمة الواحدة ؛ وذلك لأن البرقيات المستعجلة كانت الوسيلة الوحيدة لضمان وصول الأخبار قبل صدور الجرائد الصباحية في لندن ؛ وإن كانت هذه الوسيلة لم تمنع من تأخير البرقيات إلى اليوم الثاني .

رسائل الاتصالات التلغرافية

وصف أكثر مراسلي الصحف ووكالات الأنباء نظام الاتصالات التلغرافية واللاسلكية في بلاد الشرق الأوسط بأنه جيد من الناحية الفنية ؛ وإن كانت شبكة الاتصالات تضطرب اضطراباً واضحاً عندما يتوجه عدد كبير من المراسلين إلى مركز ضعيف الإمكانيات يرسلون منه برقيات تتعلق بمحدث هام .

وهنا قال أحد المراسلين الأمريكيين : عندما يحدث هذا ، يصبح الإرسال في ذاته أمراً لا يطاق ، حتى في مدينة حديثة كطهران عندما يضغط ٧٥ مراسلاً على الخطوط ، يصبح من المستحيل الحصول على خط تلغرافي إلى نيويورك قبل مضي ٢٤ ساعة .

واستطرد المراسل الأمريكي يقول : في مثل تلك الحالة تلجأ وكالات الأنباء والصحف الكبرى التي لديها المال الكثير إلى الحصول على مكالمات تليفونية مع لندن ، وتحتفظ بالخط مدة طويلة . أما المراسلون الآخرون فليس أمامهم إذ ذاك إلا البرقيات المستعجلة ، أو البريد الجوي الذي يصل نيويورك بعد أسبوع .

وقد لاحظ مدير إحدى وكالات الأنباء أن صعوبة الاتصال التليفوني بين القاهرة وأى بلد من البلاد العربية يؤثر في عمل وكالات الأنباء تأثيراً خطيراً .

على أن من المحتمل تحسين الإمكانيات الفنية . فقد أوصى مجلس اتحاد الاتصالات السلكية واللاسلكية الدولي في يونيو سنة ١٩٥٢ لجانه الاستشارية الثلاث (التلغرافية ، والتليفونية واللاسلكية) بإعداد مشروع كامل يربط بلاد الشرق الأوسط وجنوب آسيا بشبكة الخطوط الرئيسية في أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط بخطوط معدنية ، أو بروابط لاسلكية . وهذا المشروع هو المرحلة الثالثة من مشروع دولي كبير للاتصالات اللاسلكية والسلكية . وأما

المرحلة الأولى والمرحلة الثانية فهما تتصلان بأوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط .

ووفقاً للخطة الموضوعة سيتم ربط الشرق الأوسط والأقصى بأوروبا والبحر المتوسط في أنقرة وعمان والمقبة والقاهرة .

وتستفيد من هذا المشروع في المرتبة الأولى البلاد الواقعة شرقي منطقة الشرق الأوسط ، وبخاصة أنه في ظل النظام الحالي لا يوجد اتصال مباشر . ويحتاج المراسل الهندي أن يتصل برقياً ببلاده عن طريق لندن ، وهذا معناه تأخير الأخبار وزيادة نفقاتها .

ومهما يكن من شيء فالتحسينات الفنية لن تزيل العوائق التي تسبب عن التدخل السياسي الذي جعل مدير إحدى وكالات الأنباء يصف التسهيلات الفنية بأنها سيئة للغاية .

وقد شرح قصده من ذلك بقوله : إنه في كثير من بلاد الشرق الأوسط يقطع الاتصال التليفوني والتلغرافي واللاسلكي ساعات في بعض الأحيان ، وفي أوقات الأزمات ليس مستغرباً أن يقطع الاتصال تماماً ، ويعلمون ذلك بأنه حدث خلال في الأجهزة .

ثم إن المراسلين يشكون أيضاً من الضمان المالي الذي يطلب منهم عند استخدام وسائل الاتصالات التي تملكها الحكومة .

ويقول أحدهم إن البطاقات اللاسلكية والتلغرافية في أمريكا لا تمكن المراسل الذي يحملها من إرسال برقياته في الشرق الأوسط باستثناء الأردن وقبرص وعدن والمحميات البريطانية في الخليج الفارسي .

وهذا أحد المراسلين هنا يلفت النظر إلى تحديد ساعات الإرسال ، وأثر هذا التحديد في استيفاء الأخبار ، ويضرب المثل بالنظام المتبع في عمان حيث يغلق المركز الرئيسي للتغراف في أبوابه في ساعة مبكرة في المساء . وهذا النظام يضر بمصلحة الصحف الصباحية ، وتخسر الأردن كثيراً بسبب هذا التحديد لأن أخبارها لا تصل إلا متأخرة ، ولا تنشرها صحف الصباح الكبرى في العالم ، وبخاصة إذا علمنا أن المراسل في إسرائيل يستطيع أن يبرق بأخباره في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

ويشكو الكثير من المراسلين كذلك من تقديم الصحفيين والمراسلين الوطنيين على الأجانب . ويقول أحدهم : في إيران يستطيع المراسل الوطني أن يتقدم على المراسل الأجنبي بساعات ، ولا شك أن هذا يفتح الباب للرشوة ووسائل الإغراء غير المشروعة .

الفصل السادس

إستيفاء الأخبار

مصادر الأخبار

لا شك إن منطقة الشرق الأوسط إحدى مناطق العالم التي تتولى وكالات الأنباء العالمية نقل أخبارها بصفة رئيسية ، وإن كانت هناك بعض وكالات الأنباء الوطنية التي لها مراسلون في بعض العواصم الهامة في المنطقة . وتعمل هذه الوكالات على أن تنقل أخبار المنطقة بطريق مباشر غير معتمدة على وكالات الأنباء العالمية .

ومعروف أن الصحف الأمريكية والبريطانية الكبرى وحدها هي التي يمثلها مراسلون دائمون في منطقة الشرق الأوسط ؛ ينقلون إليها أخبار لمنطقة نقلاً منتظماً وله حظه من الإستيفاء . وهناك بعض صحف أوروبا الغربية والشرق لها مراسلون في المنطقة . ولكن تلك الصحف لا تجد نفسها مستغنية بفضل هؤلاء المراسلين عن وكالات الأنباء العالمية بحال ما . وسنتكلم عن مصادر الأخبار واحداً واحداً :

وكالات الأنباء

من بين ست (١) وكالات أنباء عالمية يمثل خمساً منها هيئة دائمة من المراسلين في مراكز منطقة الشرق الأوسط الهامة ، أما الوكالة السادسة وهي وكالة الأنباء الدولية فلها مراسلون وطنيون في المراكز الرئيسية ، وترسل مندوبيها من روما أو من باريس أو من لندن في حالة وقوع أحداث هامة .

ولو كانت الأنباء الغربية الأربع (إذ ليس لدينا تفاصيل عن وكالة ناس السوفيتية) ، مراسلون في القاهرة (مصر) حيث توجد مكاتب الوكالات الرئيسية في الشرق الأوسط ، وفي طهران (إيران) ، وفي تل أبيب أو القدس (إسرائيل) ، وفي بيروت (لبنان) ، وفي بغداد (العراق) ، وفي دمشق (سوريا) ، وفي الخرطوم (السودان) ، وفي عمان (الأردن) . ولروتر والأسوشيتد برس واليونيتد برس مندوبون في عدن ، وبنغازي (ليبيا) ، والبحرين (الخليج الفارسي) . وترسل وكالات الأنباء مندوبيها إلى بعض المدن الكبرى مثل بورسعيد والإسكندرية في مصر والبصرة في العراق ، وقد دبرت هذه الوكالات أمرها بحيث تحصل على

(١) الوكالات الست هي : رويتر ، الوكالة الفرنسية ، الأسوشيتد برس ، وكالة الأنباء الدولية المتحدة ، ناس .

الأخبار من بلاد الجزيرة العربية في حالة وقوع أحداث
تستدعى ذلك .

والوكالة الفرنسية ، هي الوحيدة بين وكالات الأنباء الغربية ،
التي تعتمد على مراسلين فرنسيين في المراكز الرئيسية : القاهرة ،
طهران ، القدس ، بغداد ، بيروت ، دمشق . أما في العواصم الأقل
أهمية فتعتمد على مراسلين وطنيين .

أما الوكالات الغربية الأخرى فتعتمد على مراسلين وطنيين
دائمين أو مؤقتين . ويرأس مكتب رويتر في القاهرة موظف بريطاني ،
ولها مراسلون إنجليز في طهران ، وعمان ، وعدن . وأعضاء
مكتب الأسوشيتدبرس في القاهرة من الأمريكيين ، ولها مراسلون
أمريكيون في بيروت وطهران . ويرأس مكتب اليونيتدبرس في
القاهرة رجل بريطاني ، ولها مندوب أجنبي في طهران ، والبحرين ،
والقدس . وفي غير تلك البلاد يمثلها مندوبون وطنيون .

أما عن وكالات الأنباء الوطنية فلووكالة « دوتش برس إجنيتور
الألمانية مراسلان أحدهما ألماني في مصر ، والثاني إسرائيلي في
إسرائيل . ولها مراسلون في استانبول يزورون البلاد الواقعة في
شرق البحر الأبيض المتوسط ، وإيران . ولووكالة برس ترست
أوف إنديا ، الهندية مراسل مصري في القاهرة ، ومراسل إيراني
في طهران . وتعمل على أن يكون لها مراسلون في بغداد ودمشق .

ولو وكالة أسوشيتد برس الباكستانية مراسل باكستان في القاهرة .
وتفكر في وضع مراسلين آخرين في مراكز أخرى في الشرق
الأوسط . وتنوي وكالة أناضولي Anadoly التركية الرسمية وضع
مراسلين لها في الشرق الأوسط ، وهناك وكالة أنباء تركية خاصة
هي ترك هابرلر أجنري Turk Haberler Ajanri لها مراسلون
في عمان وبيروت ، والقاهرة ودمشق .

وهناك وكالة أنباء وطنية في البلاد العربية هي وكالة الأنباء
العربية ، يملكها بريطانيون ، وهي تمثل كذلك وكالة اكستنج
تلغراف ، البريطانية ، ومكتب الوكالة المركزي في القاهرة ومدير هذا
المكتب بريطاني ، وله أفرع في بيروت ، وعمان ، وبغداد ، ودمشق
والقدس ، ومندوبون في عدن ، وبنغازي ، والخرطوم ومكة
المكرمة ، وطرابلس (١) .

ولإسرائيل وكالة أنباء خاصة هي «جويش تلغرافيك أجنس»
ولها مكتبان في القدس وتل أبيب ، وتمتد بعض الصحف في الخارج
بأنباء إسرائيل .

وهناك وكالة «ورلد وايد برس سيرفيس» الأمريكية التي حلت
محل «أوفر سيز نيوز أجنس» في ديسمبر سنة ١٩٥٣ لها مراسلون
وطنيان أولها ينقل أخبار مصر والسودان وليبيا والحبشة . ومقره

(١) لم يعد لهذه الوكالة وجود الآن ، فقد حذيت بعد العدوان الثلاثي على مصر
(المترجمان)

القاهرة . والثاني ينقل أخبار لبنان وسوريا والأردن ، والجزيرة العربية ، ومقره بيروت . وتحصل كذلك على أخبار إسرائيل من وقت لآخر وهذه الوكالة لا تنقل الأخبار الصرفة ولكنها تنحصر في المقالات التفسيرية التي تشرح ما وراء الأخبار الواردة من وكالات الأنباء الأخرى .

ثم إن للوكالات الأقل أهمية في حرصها على الحصول على أخبار الشرق الأوسط بطريق مباشر ، تدلنا على الاهتمام المتزايد بالمنطقة من جهة ، وبدل من جهة أخرى ، على عدم ارتياح بعض البلاد ، وبخاصة في الشرق ، إلى استيفاء أخبار المنطقة عن طريق وكالات الأنباء العالمية (١) .

٢ - الصحف

لعل الصحف البريطانية تعتبر أكثر الصحف اعتماداً على مراسليها الخصوصيين في الشرق الأوسط . ولكن صحف الأقاليم باستثناء ، صحف كيمزلي Kemsley (٢) تحصل على أخبار المنطقة من وكالات

(١) أنباء الشرق الأوسط (أ . ش . م) هي الوكالة العربية الأولى التي تعمل في منطقة الشرق الأوسط ، وتتبادل الأخبار مع عدد من الوكالات العالمية والإقليمية .

(٢) مقر مراسل صحف كيمزلي في الشرق الأوسط هو جزيرة قبرص التي أصبحت ذات أهمية في تنقلات المراسلين منذ شطرت الحرب الفلسطينية المنطقة إلى شطرين . وفي قبرص يجد المراسلون الحرية التامة في الإبراق بأخبارهم التي قد تمنع في أي مكان آخر في المنطقة .

الأنباء . وبعض تلك الصحف تأخذ أخبار المنطقة من الصحف
اللندنية الكبرى .

والقاهرة هي مقر هيئة مراسلي الصحف البريطانية في مصر .
ولجريدة «التايمز» Times مراسل دائم في هذه العاصمة يتجول في
منطقة الشرق الأوسط بانتظام ، وله مساعد إنجليزي يعمل بعض
الوقت . ولجريدة «ديلي تلجراف» Daily Telegraph ، مراسل
إنجليزي كذلك في القاهرة . وهي تغير بين حين وآخر . وتتميز
هذه الصحيفة على غيرها بكمية الأخبار الخاصة بالشرق الأوسط . فخلال
عام ١٩٥٣ كان لها أربعة مراسلين يعملون ما بين الخرطوم وطهران وفي
بعض الأحيان . كان لها خمسة مراسلين يعملون في وقت واحد . والديلي ميل
Daily Mail ، والديلي أكسبرس Daily Express مراسلون
إنجليز . ولجرائد : الديلي هيرالد والمانشستر جارديان
والأويزر فر مراسلون إنجليز يعملون بعض الوقت . ولجريدة «
النيوز كرونيسكل» ، مراسل مصري يعمل بعض الوقت
كذلك .

وأما في خارج مصر فيقل عدد مراسلي الصحف خصوص بين
وإذا كان مراسلو الصحف البريطانية في مصر من
الإنجليز ، فإن أكثر مراسليها في إسرائيل من اليهود ؛ وذلك فيما عدا

مراسلي التايمز ، والديلي إكسبرس والمانشستر جارديان فهم من الإنجليز .

وفي العراق تمثل جريدتان إنجليزيتان هما التايمز والنيوز كرونكل تمثيلاً مباشراً . إذ أن مراسلي هاتين الجريدتين عضوان في هيئة تحرير جريدة «إراك تايمز» ، أو إليايمز المراقبة التي تصدر في بغداد باللغة الإنجائية .

ولقد أثرت المشكلات الدبلوماسية بين بريطانيا وإيران في مدى تمثيل الصحف البريطانية في إيران . فليس لتلك الصحف مراسلون دائمون في طهران ، وإن كان لجريدة الديلي تلجراف عدد من المراسلين في هذه المدينة . وتعمل الصحف الأخرى على استيفاء أخبار إيران بواسطة مندوبين وطنيين ، أو عن طريق إرسال مراسليها الموجودين في بعض بلدان الشرق الأوسط إذا دعت الحوادث لذلك . وينقل ثلاثة من المراسلين الوطنيين أخبار إيران إلى خمس من الصحف البريطانية هي : التايمز ، والديلي تلجراف ، والديلي ميل ، والديلي إكسبرس والأوبزرفر .

وفيما عدا مصر وإيران ، والعراق تعتمد الصحف البريطانية ، على عدد من المراسلين غير الدائمين في كل من بيروت ، وعمان والخرطوم وعدن . وهؤلاء المراسلون بعضهم من أهل البلاد وبعضهم الآخر من الإنجليز .

والصحف الأمريكية أقل تمثيلاً في الشرق الأوسط من الصحف
البريطانية ؛ وذلك على الرغم من أن جريدة « النيويورك تايمز » ،
الأمريكية. تشارك جريدة « الديلي تلجراف » ، البريطانية في كثرة
المراسلين في المنطقة، فلجريدة « النيويورك تايمز » هيتان من المراسلين
الأمريكيين ينقلان إليها أخبار العالم العربي وإيران وإسرائيل ؛
وذلك بالإضافة إلى عدد من المندوبين غير الدائمين ينقلون إليها
أخبار إسرائيل ولبنان .

ولجريدة « كريستيان ساينس مونيتور » مراسل أمريكي متجول
مقره بيروت ، ومراسل مصري غير دائم في القاهرة ، ومراسل
إسرائيلي غير دائم في تل أبيب. وذلك فضلاً عن أنها تبعث بمراسلين
متجولين من وقت لآخر إلى منطقة الشرق الأوسط . وإن كانت
لا تلجأ الآن كثيراً إلى سلوك هذه الطريقة بعد أن أصبح لها
مراسل دائم في بيروت .

وتعتمد جريدة « النيويورك هيرالد تريبيون » ، على وكالات
الأنباء في الحصول على أخبار المنطقة ، وإن كان لها مراسلون غير
دائمين أكثرهم من الأمريكيين في بلدان الشرق الأوسط . كما أنها
تبعث بمراسلين متجولين من وقت لآخر .

وتفضل جريدة « شيكاغو ديلي نيوز Chicago Daily News »
أن تستمد أنباء الشرق الأوسط من مراسليها الخصوصيين الذين
تبعث بهم إلى تلك المنطقة بين حين وآخر ، وتعتمد جريدة « كليفلاند

بلاين ديلر ، Cleveland Plain Dealer على وكالات الأنباء علاوة على مراسل متجول . ولبعض الصحف الأمريكية الأخرى مندوبون هنا وهناك . ولكن الصحافة الأمريكية على وجه العموم تعتمد على وكالات الأنباء في نقل أخبار عواصم الشرق الأوسط الأقل أهمية . وتمضى في ذلك أكثر مما تفعل الصحف البريطانية .

أما عن مجلات الأخبار الأسبوعية ، فلكل من مجلتي تايم Time ولايف Life مراسل أمريكي في بيروت ، ولهما مندوبون غير دائمين في أماكن أخرى . ولمجلة « نيوزويك » News Week مراسلها الخاص في القاهرة . ولمجلة « يو إس نيوز أند ورلد ريبورت » مراسل أمريكي في الشرق الأوسط .

ولكن من الخطأ أن نقدر استيفاء صحيفة لأخبارها عن الشرق الأوسط بعدد مراسليها الموجودين في المنطقة ، كما علق على ذلك رئيس تحرير إحدى الصحف التي تشتهر باهتمامها بأخبار هذه المنطقة مع قلة ممثليها هناك ، إذ يقول : يصلنا الكثير من الأخبار على مدار السنة ، ونحن ننشر قدرأ كافياً من المعلومات التفسيرية . ونحن بالنسبة إلى الشرق الأوسط نحتاج إلى التفسير أكثر مما نحتاج إلى تدفق الأنباء المجردة .

ويصدق هذا التعليق أكثر إذا نظرنا إلى كمية الأخبار التي

تنشرها الصحف الأوروبية عن الشرق الأوسط . فقليل منها يعتمد على هيئة دائمة من المراسلين ، ولكن معظمها يعتمد على مراسلين مؤقتين من المقيمين في تلك المنطقة ، وتحصل على سلسلة من المقالات من المراسلين المتجولين ، كما تحصل على الأخبار والمقالات التي تنشرها بعض الصحف الكبرى تكمل بها ما تاتي به وكالات الأنباء (١) .

إن ازدياد بيع الأخبار الخارجية التي تحصل عليها الصحف الكبرى عن طريق مراسليها الخصوصيين إلى صحف أخرى يعد عاملاً هاماً جديداً في استيفاء أخبار تلك المنطقة في صحف العالم . « فالنيويورك تايمز » ، مثلاً ، تباع أخبارها الخارجية لـ ٢٩ جريدة في أمريكا ، وثلاث جرائد في كندا . ومن عملائها في الخارج صحف في أمريكا الجنوبية والوسطى ، وفي أوروبا ، والهند ، واليابان . وفي استراليا تحصل وكالة « الأسوشيتد برس » ، الاسترالية على أخبار الشرق الأوسط وتوزعها على أكثر صحف استراليا ونيوزيلندا . وتبيع جريدة « التايمز » اللندنية أخبارها الخارجية لنحو ثلاثين صحيفة في أنحاء العالم كله . وتبيع جريدة « الشيكاجو ديلي نيوز » أخبارها لـ ٤٨ صحيفة في أمريكا وكندا ، ولوكالة أنباء

(١) يزداد اشتراك الصحف الإقليمية والصحف الصغرى في الصحف الكبرى للحصول على أخبارها عن الشرق الأوسط .

يابانية ، وتبيع جريدة ديلي الأكسبرس (اللندنية) أخبارها لنحو ٣٠٠ صحيفة في الخارج . وتبيع جريدة «الأوبزرفر» الأسبوعية أخبارها لنحو ٢٥ صحيفة في بريطانيا ، ونحو ٦٠ صحيفة في الخارج ؛ منها ٢٣ في الولايات المتحدة . وفي فرنسا تبيع «ليموند» أخبارها لصحف الأقاليم في فرنسا ولاكثر صحف أوروبا .

نعم — هذا ما تفعله جريدة «ليموند» Le Monde التي تصدر في باريس ، فلها مراسلون خصوصيون في بعض مراكز الشرق الأوسط ، لها مندوبون غير رسميين ، وفي مراكز أخرى . وذلك علاوة على ما تحصل عليه من برقيات وكالات الأنباء ، كما تبحث بمراسلين متجولين إلى المنطقة عند وقوع أحداث هامة . وفي سويسرا تعتمد جريدة «نيوز يورخر زيتونج» على وكالات الأنباء في استيفاء أخبار الشرق الأوسط ، وتنشر عرضاً لمشكلات المنطقة بقلم أحد الخبراء المتجولين ، أو بقلم مراسل مقيم في المنطقة . والغرض من كل ذلك هو استيفاء أخبار المنطقة استيفاء ممتازاً .

وتشارك عدة صحف أوروبية في إرسال مراسلين متجولين أو مقيمين . كما تحصل الصحف الأنجلو سكسونية على مقالات غير منتظمة من الأشخاص المقيمين في الشرق الأوسط .

ولجريدتي «نيوز أو أنديا» الهندية ، ودون Dawn

الباكستانية مراسلوها الخصوصيين في منطقة الشرق الأوسط ،
وذلك فضلا عن البرقيات التي تأتي من وكالات الأنباء من آن لآخر .
ومهما يكن من شيء فإن المصادر التي تستقى منها الصحف العالمية
أخبارها عن الشرق الأوسط مصادر قليلة في مجملها إلى حد ما .
وبخاصة ما كان منها خارج مصر وإيران وإسرائيل . فأخبار
العراق . مثلا ، تصل عن طريق تسعة مراسلين دائمين ومؤقتين ؛
منهم خمسة عراقيون ، وأربعة يعمالون في جريدة « أراك تايمز » .
وتأتي أخبار عدن من ستة مراسلين دائمين ومؤقتين ؛ ثلاثة منهم
إنجليز ، والثلاثة الآخرون وطنيون . وهناك تسعة مندوبين للصحف
الأجنبية في الأردن كلهم عرب فيما عدا واحد . وفي السودان
سبعة مراسلين ، ستة منهم سودانيون والسابع إنجليزي . أما في
إسرائيل فهناك ٢٨ مراسلا بين دائم ومؤقت . منهم ٢٢ إسرائيليًا ،
وثلاثة إنجليز ، وأمريكيان ، وفرنسي واحد . وفي طهران يوجد
سبعة مراسلين يمثلون وكالات الأنباء ؛ منهم أربعة أجانب ، وثلاثة
إيرانيون . ويمثل خمس صحف بريطانية ، ومجلتي « لايف » و « تايم » ،
الأمريكيتين وجريدة « الدون » ، الباكستانية خمسة مندوبين إيرانيين .
ولا نقصد بذكر هذه الأعداد أن نقال من أهمية المراسل الوطني
الذي قد يكون شخصية صحفية مرموقة في بلده . ولكننا نقصد أن
ندلل على شيء واحد فقط هو قلة مصادر الأخبار في الشرق الأوسط .

الباب الثاني

مآخذ على استيفاء أخبار الشرق الأوسط
في الصحافة العالمية

الفصل الأول

النقص في كمية الأخبار

إن « كفاية » استيفاء الصحف لأخبار منطقة من المناطق أمر نسبي : فهو يقاس إلى حيز الأخبار الخارجية في كل صحيفة ، وإلى كمية الأخبار التي يمكن للجريدة أن تحصل عليها ، وإلى الاهتمام بالمنطقة ، وإلى المنافسة بين الأخبار الخارجية وبين الأخبار المحلية ، وبين أخبار منطقة ومنطقة ، وغير ذلك . فالحيز الذي تخصصه الصحف — حتى الكبرى منها ، الأخبار الخارجية — حيز محدود . وإذا استطاعت الصحف أن تزيد من ذلك الحيز فإن قليلين من رؤساء تحرير الصحف يعتبرون أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط مسألة تتعلق بالحيز أولا وقبل كل شيء .

وأيما ما كان الأمر ، فمضى قرر رئيس تحرير الجريدة أن أخبار الشرق الأوسط تدخل ضمن نطاق الأخبار التي يحرص على نشرها في جريدته أصبح السؤال عن « كفاية » الأخبار على النحو التالي : هل تقدم جريدته صورة صادقة وكاملة للشرق الأوسط على قدر ما تسمح به الطبيعة البشرية ، والإمكانيات الفنية التي في متناوله ؟

أو بعبارة أخرى : هل الأخبار التي تنشر في الجريدة تفيد القارىء ،
أو أنها لا تستحق الحيز الذى نشرت فيه ؟

هذا سؤال ليس من اليسير الإجابة عنه . والإجابة عنه دائماً
إجابة شخصية أو نسبية . وقد وجه معهد الصحافة الدولي بزيورخ هذا
السؤال إلى رؤساء تحرير الصحف ، ورؤساء الأقسام الخارجية في هذه
الصحف ، وإلى مراسلي الصحف ووكالات الأنباء في الشرق الأوسط
وإلى الصحفيين الذين يعملون في صحف تصدر باللغات الأجنبية
في المنطقة ، وإلى الشرقيين الذين يقيمون في الخارج ، وإلى عدد من
المختصين ، كإساتذة الجامعات ، والمسؤولين ، ورجال السياسة
الذين يهتمون بالمنطقة . ولا ننسى أن أكثر الدول الغربية اهتماماً
بمنطقة الشرق الأوسط هي بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ،
وأن وكالات الأنباء العالمية تابعة للدول المذكورة ، والصحف التي
تبيع أخبارها للصحف الأخرى تصدر في تلك الدول أيضاً . لذلك
سنقصر كلامنا في هذا الحيز على مدى استيفاء وكالات أنباء الدول
الثلاث وصحفها لأخبار الشرق الأوسط . وقد نجد أنفسنا أمام
صعوبة أخرى ، وهي التعارض بين عمل الصحف التي تحرص على أن
تكون أخبارها الخارجية شاملة ومطردة يوماً بعد يوم ، وبين
الصحف التي تخطف الأخبار الخارجية خطفاً ، وتقدم منها الأخبار
المثيرة . وهذا التعارض يجعلنا نقدر استيفاء أخبار الشرق الأوسط
تقديرين مختلفين .

أولاً : من المحقق ، أن أى إنسان فى بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا يهتم اهتماماً حقيقياً بالشرق الأوسط يستطيع أن يحصل على صورة وافية وعادلة لما يحدث هناك ، أو على الأقل لما يحدث فى مراكزه الهامة ، وخاصة فى ميدان السياسة وذلك من خلال عدد غير قليل من الصحف والمجلات التى تصدر فى بلده .

وقد أوضح رئيس تحرير إحدى الصحف الأمريكية أن صحيفته تختار من أخبار الشرق الأوسط بطريقة تشبه ما تفعله المجلات الأسبوعية ، وتوصى مراسليها أن يراعوا هذا فيما ينقلون من أخباره . وقال هذا الرجل : نحن نشعر أنه يجب أن يكون فى أمريكا صحيفة تسجيالية ، مهمتها أن تسجل الحوادث أولاً بأول ، وهذا ما تفعله جريدة « النيويورك تايمز » على أكمل وجه وأدق . وأيد مراسل إنجليزى القول السابق بقوله : « إن جريدة النيويورك تايمز هى الجريدة الوحيدة التى تستوفى أخبار الشرق الأوسط . وهى تتابع تطورات الاقتصادىة ، والسياسية والاجتماعية وهى تملك الحيز والإمكانات التى لا تتوافر لغيرها من الصحف . مع أن رسائلها تبدو عملة فى بعض الأحيان إلا أنها تحشد فيها كل الحقائق والآراء المتصلة بالشرق الأوسط ، وهذا هو أقصى المراد من استيفاء جميع الأخبار . »

أما جريدة «التايمز» اللندنية فتقدم هي الأخرى صورة شاملة ومتزنة في نطاق حيزها المحدود. «والتايمز» تعتبر أن الخبر الذي يأتي من القاهرة لا يقل في الأهمية عن الأخبار التي تأتي من أية عاصمة أوروبية. ولكنها تعنى بالتطورات السياسية قبل غيرها من تطورات الشرق الأوسط. وتشغل أخبار المنطقة جانباً هاماً كذلك من الحيز المخصص للأخبار الخارجية في جريدة «الديلي تلجراف».

وفي فرنسا تهتم جريدة «ليموند» بشئون الشرق الأوسط اهتماماً خاصاً. ولقد قدم رئيس تحرير إحدى الصحف الفرنسية قائمة بالصحف والمجلات الإنجليزية التي يستكمل منها معلوماته عن الشرق الأوسط، وهي: جريدة «نيويورك تايمز»، «والكريستيان ساينس مونيتور»، «والنيويورك هيرالد تريبيون»، ومجلة «تايم» في أمريكا. وجريدة «التايمز»، والديلي تلجراف، «والمانشستر جارديان»، «والأوبزرفر»، «والإيكونوميست»، و«نيوستيغز» في إنجلترا.

وهناك نقطة جديرة بالنظر أيضاً؛ وهي أنه قد يتبين لنا أن ترتيبات الصحف للحصول على أخبار الشرق الأوسط تختلف ما بين الصحف التي تعتمد كلية على هيئة كاملة من المراسلين كجريدة «النيويورك تايمز»، «والديلي تلجراف»، وبين الصحف التي تعتمد كلية على وكالات الأنباء العالمية، ولذلك يبدو أن قيمة استيفاء الأخبار

لا تتوقف تماماً على مقدار ما تنفقه الصحف من مال على مراسليها ،
بقدر ما يتوقف على طريقة استخدام الصحيفة لما يصل إليها من
أخبار من مصادر مختلفة ، أعني من وكالات الأنباء ، أو من المصادر
الدبلوماسية ، أو من المراسلين المنجولين ، أو من استعراض الصحف
الأخرى . والذي نريد أن نقوله بعد ذلك هو أنه إذا كانت الجريدة
تعرف كيف تستفيد من الخدمة التي تقدمها إليها وكالات الأنباء
فمنها تستوفي أخبار الشرق الأوسط أحسن استيفاء وأكمله .

والتقدير الثاني الذي نقدر به استيفاء أخبار الشرق الأوسط في
الصحف الأجنبية أنه باستثناء الصحف والمجلات التي ذكرناها
نلاحظ نقصاً كبيراً في أخبار الشرق الأوسط ، في غيرها من
الصحف والمجلات التي لم نشر إليها .

محمل النقد :

الخلاصة أن أهم ما يؤخذ على الصحف أنها تقدم أخبار الشرق
الأوسط على أثر وقوع الأحداث الهامة والأزمات الكبيرة من غير
تفسير كاف لها مما يجعل القارئ في حيرة عند وقوع أزمة جديدة .
وقد صرح أحد المشتركين في هذا البحث بأن الصحف اعتادت أن
تنقل أخبار الأزمات فقط . وكثيراً ما تفاجئ القراء ببطء من
أخبار الشرق الأوسط تبدو كأنها صورة ليس لها خلف ولا ظلال ؛
لأنها رسمت في فراغ لم تملأه الصحيفة من قبل .
وقال آخر : الحق أن الصحافة الأمريكية لا تقدم صورة صادقة

للشرق الأوسط . أجل — إنها تستوفي أخبار الأحداث الهامة ،
ولكنها تهمل ما وراء الأخبار ذات الأثر الكبير في العلاقات
الدولية في تلك المنطقة .

وقال ثالث : إن عناية الصحافة الفرنسية مقصورة على أخبار
الأزمات ، أو الأخبار المثيرة بمعنى أنها لا تعبر المشكلات الحقيقية
ما كانت تعبره إياها من قبل .

وبالرغم من أن اهتمام القراء يتزايد بمنطقة الشرق الأوسط فإن
الصحف تقدم إليهم معلومات ناقصة أو مشوهة ، وإن موقف
الصحافة الفرنسية من أبناء الشرق الأوسط يشبه موقف الجغرافي
الذي يصنف جغرافية بلد من البلاد فيكتفي بوصف قم الجبال
العالية ولا يتحدث عن الوديان والسهول .

وتم انتقادات أخرى ، بعضها موجه إلى الصحف الكبرى
وإلى مراسليها ، وبعضها الآخر موجه إلى الصحف العادية نعرض
منها ما يلي :

لا تستوفي أخبار بلدان الشرق الأوسط بدرجة واحدة ، فأخبار
مصر وإيران وإسرائيل تستوفي أكثر من استيفاء أخبار العراق
والبنان وسوريا والأردن والسودان وليبيا — تلك البلاد التي لا تجد
اهتماماً من الصحافة العالمية إلا إذا وقعت فيها أزمات وأحداث هامة .

ثم إن الأخبار ليست متوازنة من حيث النوع . فالاهتمام كبير بالأخبار السياسية ، وأما أخبار التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي قد تكمن وراء الأحداث والتطورات السياسية فهي قليلة . كما أن الأخبار ذات الطابع الإنساني قليلة أيضاً وناقصة .

كذلك يتسم استيفاء الأخبار بالتحيز سواء كان هذا التحيز من جانب ناقل الخبر أو من جانب صحيفته ، وهذا التحيز قد يكون لأسباب سياسية ، وقد يكون لأسباب غير سياسية .

بل أن مستوى نقل أخبار المنطقة منخفض في أكثره . فإن كان مراسلو الصحف ووكالات الأنباء الدائمون (وأكثرهم ليسوا من أهل المنطقة) ذوي كفاءة كانت قلة عددهم من جهة ، واتساع المنطقة التي يعملون فيها من جهة أخرى مؤثرين في كفاية عملهم . وأكثر من هذا وذلك فإن لم تعوقم القيود الموجودة في المنطقة ، فإن قدرتهم يحدها جهلهم بلغاتها وهي العربية والفارسية والعبرية . والمراسلون المتجولون الذين يرسلون إلى المنطقة لنقل أخبار الأحداث الهامة بها يجهلون الكثير عن المنطقة . وتكون النتيجة أنهم كثيراً ما يسعون وراء الأخبار المثيرة فقط ، أما المراسلون المحليون فلا تنتظر منهم الكفاءة لنقص تدريبهم من جهة ، ولخضوعهم لضغط حكوماتهم من جهة ثانية .

الفصل الثاني

النقص في تفسير الأخبار

يرى المختصون والمراسلون أن تفسير أخبار تخص "منطقة
، غربية ، كمنطقة الشرق الأوسط أمر أساسي .

وقال أحد المراسلين : يجب الاهتمام بالعوامل التي تمنع من نقل
أخبار منطقة الشرق الأوسط على نحو يبعث على الرضى . فهناك اختلاف
عميق بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ، وبين عقلية الغرب ،
وعقلية الشرق . وهذا الاختلاف يترك أثره في شئون الحياة
اليومية ، وفي الحياة السياسية ، وانعدام أسس المقارنة بين
الشرق والغرب يجعل من الصعب تتبع التطورات السياسية في
الشرق الأوسط . وقد فشل كثير من الصحفيين ذوي الخبرة
في نقل أخباره على نحو كاف ؛ ولذلك فمن الواضح أنه بدون
تفسير الأخبار تفسيراً أميناً سيظل القارئ الغربي بعيداً عن
فهم أخبار الشرق الأوسط ، وبالتالي سيقبل اهتمامه بتلك الأخبار .

وقال مراسل آخر قضى فترة طويلة في تلك المنطقة : يفسد

نقل أخبار الشرق الأوسط عندما يهمل المراسل القيام بالوظيفة
الحقة للمراسل ، وهي استخدام ذكائه للوصول إلى ما يمكن أن
نسميه « تقدير الموقف » . ويحتاج هذا التقدير تفسير الأخبار التي
هي في حاجة إلى التفسير .

ولنضرب لذلك مثلاً : ليس يكفي أن تنقل الخبر الخاص بطلب
مصر إلغاء الانتخابات في مديريتين من مديريات جنوب السودان (في
نوفمبر سنة ١٩٥٣) نقلاً مجرداً ، فالبيان المصري كان يحتاج إلى
تفسير وتوضيح حتى يبدو مفهوماً على وجهه الصحيح توضيحاً
لوجهة النظر المصرية .

« وهذا الأسلوب في نقل الأخبار ضروري ولازم . والصحيفة
أو الوكالة التي تلح على مصدرها في الحصول على كل البيانات بقصد
أن تأتي أخبارها دقيقة وموضوعية — تلك الصحيفة أو الوكالة
كثيراً ما تفشل في تقديم الأخبار على نحو سليم . فقد تجعل الظروف
من الصعب على المراسل أن يصل إلى مصدر ما للحصول على نقطة
يراهما ضرورية ويعرف أنها صحيحة ومفيدة .

« إن ما وراء الأخبار ضروري لتوضيح أخبار الشرق الأوسط
فإذا تعذر على وكالة الأنباء تفسير الأخبار تفسيراً صحيحاً ،
وإذا لم تثق الصحيفة في قدرة مراسلها على تقدير أهمية الأحداث
والحكم عليها — إذا حدث هذا أصبح لا مفر من ضياع كل ما للخبر
من قيمة .

وقد أوضح أحد المشتركين في البحث صعوبة الحصول على التفسير الكافي للأخبار في مجال جمع الأخبار .

وقال أحد المختصين الأمريكيين : أستطيع أن أقول بصدد الأخبار المجردة إن وكالات الأنباء تستوفيها ، ولكن القارئ العادي الذي لا يعرف إلا القليل عن الشرق الأوسط لا تطلعه هذه الأخبار المجردة على الحقيقة كلها . خذ مثلاً المحاكمات التي أجريت في القاهرة في شهرى أكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٥٣ ، لمحاكمة بعض المتهمين بالخيانة ، فقد اكتفت الصحف الأمريكية بأخبار الشخصيات الكبيرة ، وكان ينبغي الجمع بين المتهمين ، وظروف الدفاع عنهم . وبين معنى الاتهام الموجه إليهم في ظل النظام الجديد حتى لا تفهم تلك المحاكمات على أنها نوع من التنكيل بالخصوم .

« وعندما اغتيل الملك عبد الله ملك الأردن استوفت الصحف الأمريكية أخبار الحادث ، ولكنها لم تقدم معلومات كافية عن سلسلة الأسباب التي أدت إلى اغتيال الملك . لا أقول هذا تبريراً لحادث الاغتيال ، ولكن لكي أنبه إلى أن هناك جانباً من جوانب القصة قد أهمل ، بينما استوفى حادث القتل نفسه . ولم يعد للملك عبد الله أهمية في الأخبار الخاصة بتطورات الأحداث في الأرض المقدسة ،

مع أن الأسباب التي أدت إلى اغتياله لا تزال قائمة إلى اليوم .
، وعندما أجبر الملك السابق فاروق على التنازل عن العرش ،
وطرد من مصر علم الأمر يكيون من صحفهم أن ديكتاتورية عسكرية
قبضت على السلطة . وكان من الواضح أن الذي حدث هو انقلاب
عسكري ولكن ما هي الأسباب الكثيرة (عدا فساد الملك) التي
أدت إلى إنهاء الملكية في مصر ؟ لا تعرف شيئاً . وقد
خاضت الصحف كثيراً في قصص غراميات الملك السابق ، وما
عثر عليه في قصوره من صور العرايا ، وكان ذلك من بين
الأسباب ، ولكنها لم تكن الأسباب الأساسية التي غيرت وجه
الحياة في مصر .

، إن أخبار الشرق الأوسط في الصحف الأمريكية ينقصها
الاستيعاب الواعي الناضج للحركات الأساسية التي تمهد لنهضة
اقتصادية واجتماعية وسياسية في تلك المنطقة النابضة بالحياة من
مناطق العالم . ويؤيد ما أقوله أنه كثيراً ما تحاط أخبار الشرق الأوسط
بجوف من أجواء ألف ليلة وليلة ، ولن يتيسر لأحد أن يفهم هذا الشرق
الأوسط قبل أن يفهم أولاً عقلية ساكنيه . وليس من العسير
فهم هذه العقلية لأنها تكشف عن نفسها في الأحداث التي ترونها
أخبار المنطقة .

ثم عاق مراسل أمريكي على ذلك بقوله : إن التفسير عنصر أساسي في استيفاء أخبار الشرق الأوسط ، وهذا التفسير يتطلب معرفة قدر كبير من تاريخ المنطقة وخفاياها وأسرارها . وليسوء الحظ نجد أن الكتب التي تعنى بهذه الأمور قليلة ؛ ولذلك نرى رؤساء تحرير الصحف لا يهتمون بمكانة مصدق في تاريخ إيران الحديث قدر اهتمامهم بأنه يلبس « البيجاما » ، ويقضى في فراشه أكثر الوقت . ولا تجد كثيراً من الناس يهتمون بمعرفة كيف أو لماذا وقعت التاورات الغربية الأخيرة في بلدان الشرق .

وإذا عجز المراسل عن وضع أخبار الأحداث الهامة في وضعها الصحيح بين ملابساتها أضحت نقله لأخبار المنطقة ثابتاً لا يتغير ، والذي يعاني من ذلك في الحقيقة هم العرب والإيرانيون . أما إسرائيل مثلاً فلا تخسر شيئاً لأنها دولة جديدة يحكمها رجال ذوو عقليات أوربية ومن السهل على المراسل الأجني أن يفهمها .

ولكن من الذي يطلب منه هذا التفسير ؟ من السهل أن نقول أنها وكالات الأنباء كما يحلو لبعض مراسلي الصحف أن يفعلوا ذلك . وقد قال أحدهم — مثلاً — : إن الذين يقرأون الصحف التي تعتمد على وكالات الأنباء لا يستطيعون وضع الشرق الأوسط ووضع

تطوره داخل إطار منعزل عن التطور العام الذى يشمل العالم كله .
فالكتابة التفسيرية ضرورية لجعل الخبر الشرقى مفهوماً . وعيب
الأخبار التى تروى عن الشرق الأوسط أنها إما وقائع مجردة تنقلها
وكالات الأنباء ، وإما أنها أخبار تتحيز للجانب البريطانى ، أو للجانب
الإسرائيلى ، أو لجانب شركات البترول الأمريكية وهكذا . وقال
آخر : من المأول حقاً ألا تستطيع أن تحصل على صورة مترابطة
الأجزاء للتطورات فى إسرائيل أو إيران أو أحد البلاد العربية فى
فترة طويلة باستعراض برقيات وكالات الأنباء فى تلك الفترة .
فتلك البرقيات لا تنصب إلا على الأحداث الكبيرة ، وينقصها
التفسير ، وفى جملة واحدة أنها برقيات سطحية بكل ما تحمله هذه
الكلمة من معنى .

والمسألة التى تثير الخلاف هى هل تفسير الأخبار عمل من
أعمال الوكالة ؟ وفى الاجتماع الثانى لمعهد الصحافة الدولى الذى
عقد فى لندن فى مايو سنة ١٩٥٣ قال والتون كول Walton Cole
رئيس وكالة رويتر إن عمل وكالة الأنباء الأول ليس فى مد الصحف
بالمادة التفسيرية وكفى ، فقد بدا له أن محررى الصحف فى
الوقت الحاضر يرغبون رغبة كبيرة فى الحصول على مادة تفسيرية
موثوق بها . ووافق آلان جولد Alan Gauld رئيس تحرير
وكالة الأسوشيتد برس ، وجورج . هـ . بيال George .H- Pipal
المدير العام لوكالة اليونيتدبرس فى أوروبا على أن التفسير السليم

يختلف عن التعليقات المعبرة عن آراء كتابها ، وأن التفسير بهذا المعنى الذى يقصده كقول هو جزء من عمل وكالة الأنباء ، ولكن المسألة ، كما قال يديبال مسألة معرفة المقصود بعملية التفسير فى ذاتها. ويشرح بعضهم نظرة الشك التى ينظر بها بعض رؤساء تحرير الصحف إلى التفسير الذى تقوم به وكالات الأنباء . وقد عبر عن هذا الشك رئيس تحرير إحدى الصحف الإنجليزية فى رده على أسئلة معهد الصحافة الدولى . قال : يجب استبعاد التفسير الذى يأتى عن طريق وكالات الأنباء لأسباب ثلاثة :

أولاً : لأن كل وكالة تتبع دولة معينة ؛ ولا تستطيع أن تتخلى عن وطنيتها بما يجعل المرء يشعر أن تفسيرها يعبر عن وجهة نظر أمريكية أو إنجليزية أو فرنسية أو هندية أكثر من أن يكون تفسيراً موضوعياً نزيهاً بالمعنى الصحيح .

ثانياً : لا ينبغي للصحف أن تأخذ التفسير من مصادر مجحولة ، ويجب أن تعرف إسم الشخص الذى كتب التفسير ، وأن تعرف مدى ثقافته ونوعها . وأن تعرف قدرته العقلية ، وأن تعرف عنه ما يجعله يعلم أو لا يعلم ما هو بصدد الكتابة عنه ، وما حلة تفسيره . ولذلك من الأفضل أن يتولى مراسل الجريدة الخاص بتفسير الأخبار ، فجريدته تعرف مواطن الضعف والقوة فيه . وعلى هذا فالتفسير مهمة

ينبغي أن تقوم بها الصحف وحدها ولا تترك لوكالات الأنباء القيام به .

ثالثاً : إن مستوى بعض الذين يعملون في الشرق الأوسط ليس عالياً ، وهناك بعض الصحفيين المحليين الذين يؤدون أعمالاً لوكالات الأنباء ، وتراهم يدسون في البرقيات بعض الأفكار غير الصحيحة .

ولوكالات الأنباء شكوى عادلة في ذلك وهي أنها إذا أرسلت موضوعاً يحتوى على قدر يسير من التفسير اللازم فإن التفسير يحذف في الصحيفة . وقد حدا هذا بوكالات الأنباء إلى حذف التفسير من برقياتها الواردة من الشرق الأوسط اقتصاداً للنفقات ما دامت الصحف ليست في حاجة إلى هذا التفسير : ويقول رئيس تحرير إحدى الصحف الفرنسية في هذا الصدد : لما كان هناك قليل من القراء يهتمون بالشرق الأوسط اهتماماً خاصاً فليس من المستغرب أن تنحاشى وكالات الأنباء توزيع بعض المعلومات التي نعرف أنها لا تهم إلا الاخصائيين من الناس فقط .

وهناك مشكلة عملية متصلة بصعوبة التفسير تنشأ عن موقف السلطات الرسمية في بعض بلدان الشرق الأوسط . فهم يريدون أن كل ما يكتب عن بلادهم . يجب أن يكون في صالحها أو على الأقل يجب أن يكون محايداً ، وتراهم على استعداداً حياناً أن يتخذوا إجراءات معينة

حند الناقد غير المرغوب فيه . واتد شكاً ببعض رؤساء تحرير الصحف من أن المقالات التي تر . لها الزكالات التفسير المرفق قايمة ، وهي على قاتها ليست وافية بالغرض . وقال أحمد المنتقدين إن مثل تلك المقالات تعتمد أساساً على البيانات الحكومية وهي بالتالي عديمة النفع للصحيفة ، ومن نقائصها كذلك أنها كثيراً ما يكتبها المراسلون المحايون ، وهم غير مستعدين أن يتحرروا الدقة ، ويستوضحوا النقط الغامضة من الأشخاص المسئولين . ولكن أحد المراسلين سأل سؤالاً أصاب به الحزن : إلى متى يستطيع المندوب أن يكتب تفسيراً صريحاً ؟ أنك لا تستطيع أن تستمر وقتاً طويلاً في كتابة مثل هذا التفسير وأنت في أحد بلدان الشرق الأوسط . قد يستطيع المراسل الزائر أن يكتب شيئاً منه ، ولكن إذا أراد أن يبقى فترة طويلة وجد أنه من المستحيل أن يستمر في كتابته بهذه الطريقة .

وتم معربة أخرى سبق أن ذكرناها عند الكلام عن إمكانيات الحصول على الأخبار ؛ وهي أن الكتابات التفسيرية تحتاج إلى حقائق وإحصائيات ليست دائماً في متناول المراسل لسبب أو لآخر .

الفصل الثالث

التفاوت في استيفاء الأخبار

جاءت الاقتراحات من كل ناحية بزيادة الاهتمام بما يجرى في الشرق الأوسط خارج بلدانه الرئيسية وهي مصر وإيران وإسرائيل. فما يؤخذ على الصحافة البريطانية . مثلاً ، هو أنها لا تهتم بأخبار السودان بالرغم من أن بريطانيا تفخر أنها خلقت من السودان بلداً جديداً . وبما هو جدير بالذكر أن الرأي العام الإنجليزي عجز عن أن يصل إلى نتائج سليمة في النزاع بين مصر وبريطانيا خاصة بمستقبل السودان .

وتطالب الصحافة ، كذلك ، بنشر مزيد من أخبار ليبيا والأردن والعراق وسوريا ولبنان .

وقد بينا من قبل الدواهي التي تدعو إلى التفاوت في استيفاء الأخبار . فمكاتب وكالات الأنباء الرئيسية موجودة في القاهرة ، وأكثر مراسلي الصحف الكبرى الدائمون موجودون في القاهرة أو بيروت . وتهتم الصحف العامة باستيفاء أخبار إيران على قدر ما تسمح به القيود المفروضة هناك . وفي إسرائيل عدد غير قليل

من مراسلي الصحف من الأجانب والوطنيين على السواء . ولنفرض
أن وكالات الأنباء استعرضت مدى استيفائها لأخبار الشرق
الأوسط؛ فمن حقها أن يسأل ماذا يطلب منها لاستيفاء أخبار البلدان
الأقل أهمية . ووكالات الأنباء تسير في عملها وفق مبدأ شرحه ييبال
مدير اليونيتدبرس بقوله : إن وكالات الأنباء أشد الهيئات
شعوراً في العالم بما يحتاج إليه محررو الصحف ويرغبون فيه .
وعندما تجد أن موضوعاً بعينه يحظى باهتمام عدد معقول من
المحررين تتنافس على الحصول على أخباره ، ولا نجد وكالة أنباء
حريصة على تقديم خدماتها الإخبارية تفرض على صحيفة أخباراً من
بومباي إذا كان قارئ الصحيفة يهتم أكثر بالأخبار الواردة من
برلين أو من عمان أو من الخرطوم .

والأمر يختلف عن ذلك بالنسبة لمراسل الصحيفة في الشرق . فهو
يستطيع أن يزور البلدان الأقل أهمية من وقت لآخر وذلك بالرغم من
اتساع رقعة المنطقة التي يعمل فيها ، ولكن الاتجاه الغالب أن المراسلين
يستقرون في العواصم الكبرى التي تتوافر فيها وسائل الراحة على
زعم أن الأخبار الهامة تصنع في تلك العواصم . ويقول مراسل
أمريكي إن وصول مراسل أجنبي إلى الأردن يبعث على الشك
لندرة زيارة المراسلين لهذا البلد . وإذا كان ذهابه إلى هناك لاستيفاء
أخبار حادث مثير ، متجاهلاً الظروف التي أدت إليه ، سبق إلى

ظن المسئولين هناك أنه لم يأت إلى بلدهم إلا لكي يكتب قصة مثيرة مشوهة ومبالغا فيها ، وترتب على ذلك أنهم يضعون العراقيل في طريقه . وعلق رئيس القسم الخارجى على ذلك فى صحيفة بريطانية بقوله : لا تنتظر أن يترك المراسلون المدن ، ويتجولوا فى الريف ، وهم يفضلون الاعتماد على المعلومات المعدة التى غالباً ما تكون بيانات ونشرات حكومية .

العناية ببعض أنواع الأخبار دون الأخرى :

أعاد بعض المراسلين ما قاله بعضهم من قبل من أن استيفاء الأخبار فى الشرق الأوسط ينصب أولاً على الناحية السياسية ، وتهمل الأخبار الاقتصادية والاجتماعية مع أنه كثيراً ما يكون للتطورات السياسية أسباب اقتصادية واجتماعية مباشرة . أما الأخبار ذات الطابع الإنسانى فتكاد تكون معدومة . ونتيجة هذا كله يجد أن الصحف تعطى القارىء صورة غير متوازنة للمنطقة ، ولا يحاول المراسلون عادة التوازن إلى تلك الصورة بتوجيه انتباههم إلى الأخبار الأخرى . وحجتهم فى ذلك أن الناس خارج الشرق الأوسط يجدون الحياة فيه عسيرة الفهم .

وقال أحد المراسلين : يفاضل المراسلون بين الأخبار ، ويميلون دائماً إلى الأخبار السياسية ، وأنى أرى أن يخصص حيز للتحليل الاقتصادى ، وأخبار الحياة الثقافية ، وحياة عامة الناس

في القرى ، وهؤلاء هم سكان الشرق الأوسط الحقيقيون . وأعتقد أن كثيراً من الرسائل التي تطفح بالكراهية ما كانت لتكتب لو أن المراسلين اتصلوا اتصالاً مباشراً بمجموع الناس في الريف أو المناطق البعيدة عن العاصمة .

وسنتناول فيما يلي نماذج وأمثلة للأخبار الاقتصادية والاجتماعية الهامة التي أهملها المراسلون أو لم يستوفوها . كما ينبغي على نحو تحقيق استيفاء الأخبار .

الأخبار الاقتصادية

• لم تستوف الصحافة العالمية الأخبار المتصلة بفضائح أخبار فضائح صفقات القطن الى وقعت في مصر ما بين عامي سنة ١٩٥٠ ، سنة ١٩٥١ إلا في أحوال نادرة . ولم يركز الانتباه على سوء استغلال سوق القطن إلا بعد سقوط حكومة الوفد ، وإن كانت الأخبار لم تفسر تفسيراً كافياً . مع أن ما حدث في سوق القطن كان عاملاً هاماً ظهر أثره في التطورات السياسية والاقتصادية التي وقعت في مصر به وذلك • وفي سنة ١٩٥٢ عندما فشلت الحكومة المصرية في بيع محصول القطن أدى هذا إلى خلق موقف اقتصادي شبيه بالموقف الذي نجم في إيران عندما عجزت عن بيع بترولها . وكان لهذا الموقف احتمالات سياسية واضحة . ولكن صحافة العالم لم تمنحه ما يستحق من اهتمام . مع أن مقارنة الحالة في مصر بالحالة في إيران كانت في متناول الصحف جميعاً .

ولم تهتم الصحف بالتطورات الاقتصادية في العراق — تلك التطورات التي تجمعت عن تدفق موارد البترول فيها ، وبمعكس ذلك نجد أن الصحف العالمية الكبرى التي تهتم بالشئون الاقتصادية قد غطت أخبار هذه التطورات .

« ولم توجه صحافة العالم اهتماماً يذكر الى تغلغل النفوذ الإقتصادي الألمانى فى أسواق الشرق الأوسط .

« وفى السنوات الأخيرة دأبت الصحافة العالمية على تقديم صورة مشوهة لنمو السكان فى الشرق الأوسط . فمن المعروف أن بلدان الشرق الأوسط تشكو من تضخم السكان . وأن هذه المشكلة تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم .

وكانت الصحف تنشر أحياناً أن خططاً وضعت وأن كثيراً من المشروعات أعدت لمواجهة زيادة السكان ، ولكن تلك الصحف لم تبين أن هذه المشروعات لن تحسن الحال بعد عشر أو خمسة عشر سنة ، وخلال تلك الفترة ستكون المشكلة قد وصلت منتهاها .

« وإذا كان الإقطاع لا يزال موجوداً فى بعض بلدان الشرق الأوسط فمن المؤكد أنه فى طريقه الى الزوال . وآية ذلك ما حدث فى مصر وسوريا .

وقد نفذ فى مصر قانون الإصلاح الزراعى ، ويجرى الآن توزيع مئات الآلاف من الأفدنة على المعدمين من الفلاحين بعد أن نزع ملكيتها

من كبار الإقطاعيين من أعضاء الأسرة المالكة السابقة أو من طبقة
الباشوات . ومع ذلك فالقضاء على الإقطاع وتوزيع الأراضي على
الفلاحين ومشكلة ازدياد السكان وغيرها من المشكلات الحساسة التي
تكون دائما سببا في التغييرات السياسية في المنطقة لا تجد صداها
في الصحف الأمريكية .

الأخبار الاجتماعية

لم ينشر في الصحافة العالمية إلا القليل عن أحوال اللاجئين
العرب الذين طردتهم إسرائيل من ديارهم ، وهم يعيشون في خيام
في الصحراء على حدود وطنهم السابق .

• ولم ينشر كذلك إلا القليل عند مدى ترحيب المهاجرين
اليهود بوطنهم الجديد ، ولم يذكر شيء عن هودة أربعين ألف مهاجر
يهودي من حيث أتوا كما لا ينشر شيء عن الظروف القاسية التي
يعيش في ظلها العرب الموجودون في إسرائيل .

• ومن المسائل المهمة كذلك الجهود التي تبذل لتقديم التعليم
والقضاء على الأمية بشكل يدعو إلى الدهشة ، ومن آثار ذلك إنشاء
مركز التعليم الأساسي التابع لليونسكو في أحد أقاليم مصر (١) .
• ولم ينشر إلا أقل القليل عن حركات الإصلاح الاجتماعي

(١) يريد سروس البيان .

كتحرير المرأة ، وتقدم شئون الصحة العامة في القرى المختلفة .
ونحو ذلك .

ومن هذه الموضوعات ما هو أصح أن يكون موضوعاً لتحقيق
صحفي، ومنها ما قد تنظر إليه باعتباره لا يهم إلا المختصين وأنه فوق
اهتمامات القارئ العادي .

وقد تساءل أحد المراسلين المصريين عن القدر الذي نشر عن
الحركات المتطرفة في الشرق ، فقليل مثلاً أن زعماء عصابات إيران
يألفون جماعات سرية وإن آية الله كاشاني هو زعيم تلك الجماعات
السرية . ولكن قصة تلك الجماعات الحقيقية لم تنشر . كما أن
أخبار حركة الإخوان المسلمين في مصر لم تستوف من مصادر
رسمية موثوق بها وهكذا .

الفصل الرابع

تشويه الأخبار

يجمع الذين اشتركوا في هذا البحث على أن تشويه أخبار الشرق الأوسط تشويهاً متعمداً لا يقع إلا نادراً في الصحافة الأجنبية ولكن هؤلاء لا ينكرون وقوع التشويه . وهم يردونه إلى سببين رئيسيين :

الأول

أن التشويه قد يصدر عن الجهل من جانب المراسل ، أو يصدر عن عجزه عن الحصول على الوقائع كاملة ، بسبب القيود التي تفرض عليه في المنطقة .

ولكن من الحق أن يقال إن هذا التشويه البريء له أسباب يجعلها مراسل فرنسي ذو خبرة فيما يلي :

أ - الرغبة في المبالغة .

ب - نظرة المراسلين إلى ما يقع في الشرق الأوسط نظرة رومانتيكية خيالية ، يردون فيها الأحداث إلى دوافع شخصية خاصة كحب الانتقام ، والتعصب ونحو ذلك .

ج - تصوير القوى السرية كالمخابرات الأجنبية والسكومنفورم

(الشيوعية) ، والجمعيات الدينية وتجار الاسلحة على أنها المتحكمة في الأحداث في تلك المنطقة .

د - عدم توافر إحصائيات موثوق بها ، أو وقائع وحقائق ونحو ذلك .

ويقول هذا المراسل أن الاهتمام بعنصر الإثارة في الأخبار يؤدي إلى التبسط المخل . وضرب مثلا لذلك بما تفعله الصحف الفرنسية حين تكتفي برد التطورات التي وقعت في إيران إلى الشيوعية ؛ من غير أن تحاول التفرقة بين آثار الخطط الشيوعية والأمانى الوطنية الحقيقية . ونجم عن هذا أن الرأي العام الفرنسي لم يفهم قط أهمية القومية في الشرق الأوسط .

ومثل آخر على هذا النوع من التشويه يرويهِ مراسل إنجليزي في مصر ، وهو المحاولة المزعومة لقلب حكومة الثورة في يناير سنة ١٩٥٣ . ويقول ذلك المراسل : حقيقة الأمر أن الثورة كانت تضم رجالا على خلاف معها فتخاضت منهم ، ولكن الصحافة الأجنبية صورت ما حدث أنه محاولة لقلب الحكم . وهناك عاملان ساعدا على التشويه : الأول هو الرقابة التي حالت دون معرفة الحقيقة في وقت مبكر . والثاني هو رغبة بعض المراسلين الذين جاءوا لزيارة مصر في ذلك الوقت في الحصول على قصة مثيرة ، وبخاصة أنهم يمثلون صحف يوم الأحد التي تصدر في الخارج . وقد تفادى أحدهم الرقابة بأنه غادر مصر وفي ذهنه قصة مختلقة عن الحادث

نشرها بالفعل في إحدى صحف يوم الأحد في بريطانيا .
وذكر أحد المراسلين الأمريكيين أن عدم فهم القوى السياسية
المؤثرة في الشرق الأوسط يعتبر عاملاً آخر من عوامل تشويه
الأخبار، وقال: من المستحيل مقارنة «الأغلبية» والقوى، والحركات
السرية، والمعارضة، في المنطقة بما يقابلها في بلاد الغرب من كل ذلك.
ولهذا كثيراً ما يهمل المراسل آراء الجماعات والأحزاب المعارضة،
وتأثير التيارات الخفية مع أنها تؤثر فعلاً في الاتجاهات داخل
حكومات الشرق الأوسط، وتحدث تلك الحكومات من التغيرات
أكثر مما تفعل القوى الظاهرة . ولكن يبدو أن الثورة المصرية قد لقت
المراسلين الغربيين درساً لن ينسوه . مع أن نقل الأخبار من
إيران وسوريا والأردن يدل على أن المراسلين يكتفون بترديد
بيانات حكومات تلك البلاد . ويصدق هذا على إسرائيل أيضاً .
وهكذا فاجأت الثورة المصرية واستقالة الشيشكلي وابن غوريون
العالم الغربي وأخطأت الصحف في تفسير هذه الأحداث خطأ كبيراً .

الثاني

والسبب الرئيسي الثاني لتشويه الأخبار تشويهاً أكثر خطورة من
سابقه . هو تحريف الأخبار تحريفاً متعمداً للتأثير في القارئ
تأثيراً معيناً ، ويرد هذا التحريف المتعمد إما إلى تحامل المراسل
نفسه ، أو إلى سياسة جريدته .

والمثل الأول الذي قدمه المختصون الإنجليز قصة «رحلة

صلاح سالم إلى السودان ، وأهمية هذه القصة ترجع إما إلى رغبة المراسل في خلق عنوان مثير ، وإما كدافع سياسي نحو تصوير مسلك المصريين في السودان بأنه مسلك معيب .

زار الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى السابق السودان فى صيف عام ١٩٥٣ قبل إجراء الانتخابات هناك . وفى الجنوب اشترك صلاح سالم فى رقصة وطنية أداها كما أداها الوطنيون وهو نصف عار تقريباً . ومن ثم أطلقت عليه بعض الصحف الإنجليزية لقب «الساغ الراقص» ، وعلق أحد المراقبين الإنجليز على الأثر الذى أحدثته القصة بقوله : من الواضح أن الصحف الإنجليزية لم تكن تجمل أن المسئولين الإنجليز فى السودان كثيراً ما اشتركوا فى الرقصات الوطنية التى يؤدونها الوطنيون هناك على أساس أن المشاركة بجمالة للوطنيين . وأضاف آخر قوله : لم يكن العمل الذى قام به الصاغ سالم لائقاً فى نظر الغربيين ، أما فى نظر السودانيين والعرب عامة فلم يكن يختلف عن مشاركة العمدة أو الشيخ أو القسيس للقرويين فى ألعابهم الساذجة .

« وقد نقلت القصة والتعليقات المختلفة عليها إلى السودان ، ونشرت أو أذيعت فى أنحاء العالم العربى . وفسرت كثير من الدوائر مسلك الصحف البريطانية على أنها محاولة من جانب الإنجليز لتشويه سمعة خصومهم بطريقة لا مبرر لها .

والتحيز لا يصدر دائماً إلا عن سياسة الجريدة . وقد أقر كثير من المراسلين أن الجو الذي يعملون فيه مشحون بالعواطف المبالغ فيها عما ينبغي أن يقال . وما ينبغي ألا يقال . فمن الصعب أن يكون استيفاء الأخبار موضوعياً في البلاد التي استقلت حديثاً أو التي تقف موقفاً عدائياً من الذين كانوا يستعمرونها ، أو في جو العداء السافر بين العرب واليهود .

وكتب أحد المراسلين الأمريكيين عن أخبار إسرائيل قائلاً : يبدو أن الأمريكيين يقدمون صورة شاملة لبلاد الشرق الأوسط باستثناء إسرائيل . . ففي إسرائيل نجد أكثر المراسلين يعطفون عليها باعتبارها بلداً تناضل في سبيل وجودها . ولذلك يغضون البصر عن الجوانب السيئة فيها . قليلاً ما نقرأ ، شيئاً عن انخفاض مستوى المعيشة في تلك البلاد وارتفاع الأسعار ، والأسواق السوداء ، وعمال البلدية الموصوفين بالشراسة ، والتفرقة في المعاملة بين اليهود العرب . و قليلاً ما نقرأ عن اليهود من غير العرب ، وعن ضعف العقيدة الدينية ، باستثناء الأقلية المحافظة . وبدلاً من هذا كله تقدم الصحافة الأمريكية صورة إسرائيل على أنها بلد يفيض لبناً وعسلاً .

ويكاد يجمع المراسلون على أن الموضوعات الرئيسية التي يقع في أخبارها التحريف والتشويه هي النزاع بين بريطانيا ومصر حول مستقبل قاعدة قناة السويس ، وحول السودان . والنزاع بين

بريطانيا وإيران حول البترول . ولقد كانت الصحافة البريطانية تهتم
بالنزاع بين العرب واليهود عندما كانت فلسطين تحت الانتداب
البريطاني . أما الآن فلا تتحيز لجانب ضد الجانب الآخر (١) .

كما أشار المراسلون الإنجليز إلى الصحف لاتعكس الكراهية
الشديدة التي يكنها العرب لإسرائيل ولم يقدر أحد من الساسة
الإنجليز أو الصحفيين الإنجليز هذا الشعور حق قدره .

ويقول مراسل إنجليزي مخضرم : إنه بما لاشك فيه أن استيفاء
أخبار الشرق الأوسط قد تقدم عن ذي قبل ، على أن هناك بعض
الصحف تتصرف تجاه أخبار المنطقة وفقاً لسياسة مرسومة ، وهي
تتوقع أن يرسل إليها مراسلوها الأخبار التي تتفق مع تلك السياسة ،
أو يملأوا الأخبار التي تتعارض معها أو يقدموها في أسلوب يجعلها
تبدو متفقة مع تلك السياسة . ومن هذا القبيل أن صحيفة بريطانية
واسعة الانتشار دأبت على نشر أخبار النزاع المصري الإنجليزى على
نحو يظهر أن المصريين غير أهل للثقة ، وأن أى تسوية تقوم على
أساس الجلاء تسوية غير حكيمة .

وعقَّب مختص على هذا بقوله : الحق أن الصحف الإنجليزية تقدم

(١) هكذا يصف مراسل إنجليزي موقف صحف بلاده من النزاع بين العرب
واليهود . ولا شك أن هذا الوصف مبالغ فيه وأنه بعيد عن الحقيقة .

صورة دقيقة إلى حد ما لمصر وإسرائيل عندما تكون مصالح بريطانيا بعيدة عن النزاع . ولكن عندما يمس هذا النزاع شيئاً من المصالح البريطانية تتغير النغمة فيصبح ما ينشر عن البلدين أقرب إلى الدعاية منه إلى الأخبار الصحيحة .

وأضاف مختص انجائزى آخر إلى هذا قوله : يخرج المرء من تتبع أخبار العرب وإسرائيل في الصحافة الإنجليزية بفكرة أن أخبار العرب نادراً ما تكون في صالحهم . وليس الخطأ خطأ العرب ؛ فالقصص المثيرة تفوز باهتمام أكثر مما تفوز به شئون العرب الخطيرة . وقد اعتادت الصحف ألا تبرز بيانات قادة العرب وتصريحاتهم وسياساتهم إلا إذا كانت تنطوي على هجوم عنيف على بريطانيا .

أما الصحافة الأمريكية فلا يزال النزاع بين العرب وإسرائيل هو أكثر الموضوعات خضوعاً للتحيز فيها . وترتب على اهتمام أمريكا المتزايد بشئون الشرق الأوسط أن هناك عدداً من الموضوعات أصبح يثير مشاعر قوية لدى الأمريكيين . ويقول خبير من خبرائهم أن أخبار الشرق الأوسط في الصحف الأمريكية يشوبها التحيز للسياسة الأمريكية ، أو الشعور المعادى لبريطانيا والاستعمار ؛ أو الميل إلى إسرائيل ، ونحو ذلك .

وقال أحد المراسلين الأمريكيين في صراحة تامة : إن ممارسة فرض القيود على الصحافة لا وجود لها في الشرق الأوسط ، ولكنها توجد فقط في أمريكا . فمن المحقق أن رؤساء تحرير الصحف الأمريكية بدون

استثناء لا ينشرون الحقيقة عن النزاع بين العرب وإسرائيل خوفاً من النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة .

وعلق مراسل أمريكي آخر : لا تجد إلا القليل من الصحف الأمريكية التي تبرأ من التحيز في معالجتها لأخبار الشرق الأوسط . ففما يختص بأخبار العرب التي ينطوي على معارضة لسياسة الغرب أو تهديداً لمصالحه نجد أن الصحف الأمريكية لا تعرض هذه الأخبار عرضاً سليماً ، وإن كانت لا تهملها . أما إذا كانت الأخبار تنطوي على تشابه بين سياسة العرب وسياسة الغرب ، فكثيراً ما تهملها الصحف الأمريكية .

• فالصحافة الأمريكية تمارس تحريف الأخبار ضد مصلحة دول الشرق الأوسط ، ولقد رأيت أخباراً منشورة في الصحف الأمريكية تنطوي على تأييد لوجهة نظر حكومات الشرق الأوسط ، ولكنني وجدت تلك الأخبار تحمل عناوين مضللة ، وتخالف ما جاء في الخبر نفسه . فالمراسل قال الحقيقة في برقيته ، ولكن الصحيفة تعمدت وضع عنوان يخالف تلك الحقيقة .

• فمثلاً إذا جاء خبر من تل أبيب يتهم الغرب بعدوان على الحدود ، جعل عنوانه بالخط العريض سواء كان الخبر يشغل عموداً أو أكثر من عمود . ويحدث العكس عندما يأتي خبر من الأردن يتهم إسرائيل بالقيام بالعدوان . فان ينشر خبر الأردن على أكثر

من عمود ، وبعنوان بالبنط الصغير لا يلفت النظر . وإذا كانت الصحف الأمريكية تقف هذا الموقف المريب من أخبار العرب وإسرائيل فكيف يتوقع المراسلون الأمريكيون أو تتوقع الصحف الأمريكية أن يظهر المسئولون العرب ودهم لهم وارتياحهم لهذا التحيز الظاهر ؟ وقد تحتاج الصحف الأمريكية بأنها أبرزت مذبة القبية التي راح ضحيتها عدد غير قليل من العرب . ولكن مذبة القبية لم يكن من اليسير التستر عليها أو إهمالها أو التقليل من بشاعتها بحال ما . ويرى مراقب أمريكي أن الصحافة الأمريكية تحيزت للجانب البريطاني في النزاع بين بريطانيا وإيران حول البترول ، وقال هذا المراقب : يعرف أكثر القراء الأمريكيين أن الحكومة الإيرانية استولت على ممتلكات شركة البترول الإيرانية الإنجليزية . ويعرف أكثرهم بعض عادات مصدق غير المألوفة ، ولكن قل أن تجد أمريكياً يقول لك أن صحيفته كشفت له عن حقائق النزاع بين إيران وبريطانيا . وأكثر قراء الصحف الأمريكية يعرفون أن حزب تودة في إيران إما خاضع للتوجيه الشيوعي وإما خاضع للسيطرة الشيوعية . ولكن قليلاً منهم من يعرف الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ظهور حزب كحزب تودة الذي نشير إليه .

دومرة ثانية ، قرأ أكثر الأمريكيين شيئاً في صحفهم عن اقتراح الحكومة الأمريكية بإنشاء (قيادة) دفاعية في الشرق

الأوسط ، ولكن قل أن شرحت جريدة أمريكية الأسباب التي من أجلها عارض زعماء الشرق الأوسط في إنشاء هذه القيادة . وكان يجدر بالصحف الأمريكية — محافظة منها على تقليدها المأثور بذكر جانبي القصة — كان يجدر بها أن تحاول أن تعرف ، ولو من باب الفضول ، لماذا عارض زعماء الشرق الأوسط مشروعاً أمريكياً في هذا الشأن .

« أنا لا أعتقد أن صحيفة أمريكية أو مراسلاً أمريكياً يشوه عن عمد أخبار الشرق الأوسط ، ولكنني أرى أن الصحف الأمريكية تستوفي أخبار الشرق الأوسط بطريقة ساذجة غير متوازنة في أكثر الأحيان . فمثلاً رأيت الصحف والمجلات الأمريكية تذكر تقدم دولة إسرائيل كما جاء في الذكرى الأولى والثانية والثالثة لقيام هذه الدولة ، ولكن يبدو أنه لم يخطر قط ببال أحد المسئولين في الصحافة الأمريكية أن التقدم ليس وفقاً على دولة واحدة . ويخيل إليّ أنه لا بد أن يسأل مراسل أو رئيس تحرير نفسه هذا السؤال ويحاول الإجابة عنه : ما التقدم الذي حققته الدول العربية في الفترة التي انقضت منذ قيام إسرائيل ؟

ويقول أحد المراسلين الفرنسيين : إن تشويهاً له دلالاته يقع في الصحف الفرنسية عندما تنشر أخباراً تتناول أحداث لبنان وسوريا ،

والسبب هو المرارة التي خلفها تقويض النفوذ الفرنسي في هذين البلدين العربيين .

وقال مراسل فرنسي آخر : أن تشويه الصورة العامة للشرق الأوسط في بعض الصحف الفرنسية يرجع إلى التحيز السياسي . يرى أن أسباب هذا التحيز الرئيسية هي :

أ - اعتقاد بعض الصحف أن لليهود الحق في إنشاء وطن لهم بسبب الاضطهاد الذي وقع عليهم في أوروبا . وهذا الاعتقاد يجعل الصحف الفرنسية تقف موقف المدافع عن إسرائيل دائماً .

ب - عطف فرنسا الطبيعي على الدول الاستعمارية الكبرى في نزاعها مع البلاد التي تسعى لاستكمال استقلالها . ولذلك نجد أن الصحف الفرنسية كلها باستثناء الصحف اليسارية المتطرفة ناصرت بريطانيا في نزاعها مع مصر ، وفي نزاعها مع إيران . ومن جهة أخرى نلاحظ أن هناك اتجاهاً جديداً من جانب بعض الصحف المحافظة مثل « الفيجارو » لتعديل هذا الموقف تجاه بلدان شمال أفريقيا ، تأييداً منها إلى حد ما للوطنية في الشرق الأوسط . وهناك سبب آخر من أسباب التحيز هو أن أخبار الشرق الأوسط قد تصل عن طريق دبلوماسي بواسطة أشخاص غير محايدين في الأصل بحكم وظائفهم الدبلوماسية .

وحكومات الشرق الأوسط هي الملوثة على كل حال لأنها تغلق

الابواب الطبيعية أمام الصحفيين المحترفين ، فتدفعهم إلى البحث عن
الأخبار في مكاتب وزارات الخارجية في الدول الأجنبية. والذي يحدث
أن مكاتب الاستعلامات التابعة لذلك الدول الأجنبية . تقال من شأن
وجهة النظر التي لدول الشرق الأوسط . وقد يعمد المراسل الدبلوماسي
إلى تصحيح أخبار تلك المكاتب ، ولكن بالرغم من قدرته على
ذلك التصحيح تعوزه الخبرة بمنطقة الشرق الأوسط . وتعتبر لندن
على الخصوص . مصدراً رئيساً لأخبار الشرق الأوسط لا للصحف
البريطانية وحسب ولكن لكثير من الصحف الأجنبية أيضاً .
على أن مركز بريطانيا التقليدي في العالم العربي يحتم عليها أن تجعل
وزارة خارجيتها مركزاً هاماً للأخبار . ولكن إذا قدمت صحيفة
أوربية - وكثيراً ما يحدث هذا - أخبار لندن على أنها أخبار الشرق
الأوسط الموثوق بها خاطرت بالتأثير على القارىء تأثيراً لا شك فيه !!
ثم إن الأخبار التي تصدر عن مصادر غير وزارة الخارجية
أخبار مضللة أيضاً . ولقد عقب مختص انجليزى على ذلك بقوله :
في خلال ربع القرن الذى سبق إنشاء دولة إسرائيل كان الاعتقاد في
بريطانيا وأمريكا أنه يوجد في فلسطين أراض واسعة يمكن أن تعد
لمستوطنين جدد لولا معارضة العرب . ولا ألقى التبعة في ذلك على
الصحافة ؛ فالصحافة إنما حصلت على تلك المعلومات من الذين كان
يهمهم أن تقبل وجهة نظر معينة هي هذه الوجهة التي ندير إليها .

« وأنى لأعتقد أن النشويه الذى يقع فى الأخبار إنما
مرده إلى المصادر التى استقت منها الصحافة هذه الأخبار لا من
الصحافة نفسها ما لم تكن الصحافة خاضعة للمصالح الحزبية .

وتحدث بعض المراسلين عن مصدر آخر من مصادر التحيز فى
أخبار الشرق الأوسط . فى شركات البترول مكاتب للعلاقات العامة
معدة لمساعدة الصحف على أحسن وجه ، وعملها هو إظهار
نشاط الشركة فى صورة ملائمة ، ولكن يبدو أن ضغطها على المراسل
لإرسال « خبر معين ، يتجاوز الحد المعقول فى معظم الأحيان ١١١
ويقول أحد المراسلين ، مثلاً ، عن العربية السعودية . إن
الطريق الوحيد لدخول هذه البلاد طريق شركة أرامكو . فإذا
كنت مقبولا من الشركة صرح لك بالدخول وإلا فلا أمل فى
دخولك . وقال آخر : من الصعب الحصول على تأشيرة دخول
إلى العربية السعودية . ولا يمكن الحصول عليها إلا بمعوة أرامكو .
وإذا ما دخل المراسل بواسطة أرامكو وجد نفسه لا يكتب شيئاً
إلا ما يلقى القبول عند هذه الشركة ١١

ونفس الشيء كان يحدث فى إيران عندما وقع النزاع بين شركة
البترول الإيرانية البريطانية والحكومة الإيرانية .

وكتب أحد المراسلين يقول : فى سنة ١٩٥١ والأزمة فى
عنقوانها ، واجه المراسلون فى عبدان مصاعب لا قبل لهم بها .

ولم يكن في عبدان مكان ينزل فيه الأجانب اللهم إلا منزل الضيافة
التابع لشركة البترول البريطانية الإيرانية . وكانت الشركة تقدم
للمراسلين المبيت والأكل والشرب بدون مقابل . وكان الوضع مقبولا
للذين يقضون فترة قصيرة هناك . أما الذين قضوا فيها جميع شهور الأقامة
فكان من الصعب عليهم أن يظلوا محايدين في عملهم الصحفي . وإذا اشترى
مراسل بالحيدة فإن ترضى عنه لا الشركة ولا الإيرانيون أنفسهم .
ولا يعتقد أحد أن مراسلا يعيش على نفقة الشركة ويظل محايدا
بالمعنى الصحيح !

« نعم — الوضع في عبدان غير مألوف ، ولكنه مثل يوضح
إلى أي حد يمكن أن يخضع المراسل للتأثير والإغراء ، وقد بلغ
الامر بالمراسل أنه لم يكن يستطيع أن يلح أن الإيرانيين أصحاب
حق ، وإن الحق كله في جانب الشركة .

ولعل أشد ما يدعو إلى الدهشة والرتاء هو موقف قارىء الجريدة
نفسه ، فهو يريد أن يعتقد أن بلاده — أو أنه هو — على حق في كل نزاع
دولي . وهذا الشعور عامل رئيسي في بريطانيا وقد لعب دوراً بارزاً
في الشرق الأوسط أزماناً طويلة .

وعقب محرر الشؤون الخارجية في إحدى الصحف البريطانية
بقوله : عند الغربيين معتقدات راسخة عن بعض بلاد الشرق الأوسط
أثرت في الصحف فجعلتها تختار مما يأتي به المراسلون من أخبار
الشرق الأوسط على نحو معين . ففما يختص بموقف الصحافة البريطانية

من مصر هناك عامل أثر في هذا الموقف ، وهو التجربة التي مر بها الجنود الإنجليز عندما كانوا في مصر خلال الحرب العالمية الثانية . فقد شاهدوا أسوأ جانب في الحياة المصرية ، ولم يكن هذا الجانب إلا جانباً واحداً من جوانب الصورة .

وأضاف مختص بريطاني إلى كل هذا قوله : لا ينكر أحد أن رجل الشارع في بريطانيا دهش عندما كان يقرأ الانتقادات التي كان يوجهها المصريون إلى بريطانيا . وهو يذكر كيف دافع الجنود الإنجليز عن مصر ضد هجوم رومل . ثم لم تكن دهشته أقل عندما ظهر أعداء بريطانيا في الانتخابات التي أجريت في السودان تلك الانتخابات أرادت بريطانيا أن تخاق بها أمة من العدم . وكذلك يدهش القارئ الإنجليزي عندما يرى سمعة بريطانيا في الحضيض في عمان على الرغم من مساعدة بريطانيا للأردن ، وعندما يرى سوريا ولبنان يشاركان بقية الدول العربية في مهاجمة بريطانيا على الرغم من أن بريطانيا كادت أن تفقد صداقة فرنسا التقليدية لأنها عملت على إنقاذ سوريا ولبنان من تبعية فرنسا .

ومثل هؤلاء القراء لا يريدون تفسيراً معقداً ، كما يقال عن بريطانيا في الشرق الأوسط ، ولكنهم يريدون دفاعاً عن وطنهم في عالم لا يحفظ الجبل (١) .

(١) تلك وجهة نظر إنجليزية خالصة لا ينبغي للقارئ العربي أن ينزعج لها أو ينتظر غيرها .
(المترجمان)

وتطور النزاع بين بريطانيا وإيران حول البترول مثل
يوضح هذا الميل عند القراء ، وقد ذكره مختص دافع عن موقف
الصحف البريطانية إبان الأزمة . وقال إنه كان من المشكوك
فيه أن يفهم القراء الإنجليز من صحفهم الأسس التي تقيم عليها
الحكومة الإيرانية طلبها ٤٩ مليوناً من الجنيحات من شركة البترول
البريطانية الإيرانية . فيكفي أن القراء الإنجليز اعتبروا هذا المبلغ
مبالغ فيه جداً . وإليك مثلاً آخر : هو الخبر الذي ذاع أن الحكومة
الإيرانية كانت ترفض قبول أى عمل بريطاني يتكلم الفارسية . وقد
صدق الرأى العام البريطاني ذلك الخبر مع أنه لم يكن صحيحاً .
وذاع هذا الخبر لأنه مثل على ما تؤدي إليه الوطنية الجامحة حين
لا تجد الحقائق المجردة قبولا لديها .

الفصل الخامس

اختلاف مستويات الأخبار في المنطقة

يحصل القارىء المهتم بالشرق الأوسط على قدر كاف من الأخبار السليمة ، التى تشهد بكفاءة المراسلين الأجانب ذوى الخبرة بالمنطقة . ولكن يجب أن نقرر منذ الآن أن المراسل المثالى للشرق الأوسط لم يوجد بعد . بل يجب أن نقرر كذلك أن الظروف التى تساعد له تتوافر إلى الآن .

الحق أنه ينبغي أن يكون المراسل المثالى محلاً سياسياً من الطراز الأول يستطيع أن يضع يده على الاتجاهات الحقيقية فى منطقة تشعب فيها الطرق وتلتوى وتقل فيها العلامات الدالة على الطريق . وينبغي أن يكون المراسل كذلك خبيراً بالشئون العسكرية والاقتصادية ويستطيع أن يلتمس الحقيقة عن طريق معلوماته بشأن اتجاهات نمو السكان ، وبشأن الميزانية التى تبدو غير ذات دلالة للشخص العادى . ثم يجب أن يضيف إلى ذخيره اللغوية العربية والفارسية والعبرية . استيعاباً لتاريخ الشرق الأوسط ، وأن يلم بمعتقداته الدينية ، وتنظيماته القبلية . ويعجب أحد المراقبين أنه بالرغم من أن هذه المؤهلات

لا وجود لمعظمها في مراسل الشرق فهناك قدر لا بأس به من الأخبار الصحيحة تنقل الآن من المنطقة .

غير أن النقاد يميزون بين أصناف مختلفة من المراسلين في الشرق الأوسط . فهناك فارق كبير بين المراسل المجرب الذي يبق فترة طويلة في المنطقة وينقل أخبارها على خير وجه ، والمراسل الوطني الذي لا يعنى إلا بالأخبار التسجيلية الخاصة .

المراسل الزائر

يرى عدد غير قليل من المراسلين أن كفاية عمل المراسل تتأثر بالمدة التي يقضيها في منطقة الشرق الأوسط تلك المنطقة التي تتميز بجوها الإيحائي . غير أنهم يختلفون في طول المدة التي يجب أن يقضيها المراسل هناك .

ومن ناحية أخرى قال أحد المراسلين : إنني أرى شخصياً أن التغيير السريع أمر لازم ومفيد . ولا أحبذ بقاء المراسل في منطقة معينة أكثر من سنتين أو ثلاث سنوات . ولا ينطبق هذا بطبيعة الحال على مديري مكاتب وكالات الأنباء الذين ثبت نفهم في الاتصالات الشخصية في السنوات الأخيرة .

وقدم مراسل ذو خبرة طويلة في الشرق الأوسط سبباً قوياً للحد من المدة التي يقضيها المراسل في المنطقة ، قال :

كثير من المراسلين — وبخاصة من قضى منهم فترة طويلة في الشرق الأوسط — يفتقدون القدرة على وزن الأخبار . فتراهم يهتمون بالتفاصيل التي لا يعنى بها أحد خارج البلد نفسه . ولقد جربت هذا بنفسى وإن كانت وكالات الأنباء تعمل حساباً لهذا العامل .

وهناك ما يقال تبريراً لبقاء المراسل مدة طويلة في المنطقة ، إذ يرى ما لا يراه زملاؤه القدامى ممن لا تتوافر الدقة لأخبارهم . وكثيراً ما يوجه المراسلون الدائمون نقدهم إلى المراسلين الذين يفدون إلى المنطقة لتغطية خبر من الأخبار ثم يذهبون من حيث أتوا . ومن غريب ما ينقله أحد المراسلين الإنجليز عن نقل الأخبار في العالم اليوم ما يقوم به المراسلون الخصوصيون الذين يطوفون حول العالم في سرعة سعياء وراء الأخبار ، ثم يقدمون لجرائدهم أخباراً ناقصة مضللة . إذ لم تتح لهم الفرصة الكافية للوقوف على حقائق الأمور من جميع نواحيها . والخطأ ليس خطأ المراسل ولكنه خطأ الصحيفة . وقد دأبت على ذلك صحف يوم الأحد الإنجليزية الواسعة الانتشار . وتحذو بعض الصحف الفرنسية حذوها في ذلك . وقد عانى الشرق الأوسط من هذا كثيراً .

ويرى المراسل نفسه أن تغيير المراسلين من وقت لآخر له نتائج خطيرة وقال : غيرت إحدى الجرائد اللندنية مراسلها في القاهرة أربع مرات في مدى سنتين ، وغيرت جريدة أخرى

مراسلها عدة مرات مع أنها تحتفظ من الناحية النظرية بمراسل معين في المنطقة . ولهذا لا يستطيع المراسلون أن يحكموا على موقف هناك حكماً سليماً متعمقاً . ولا ملامة عليهم إذن . ويبدو أن الصحف الشعبية لا تنتظر من مراسليها أن يتاح لهم الوقت الكافي لكي يعرفوا المنطقة التي يوجدون فيها على أحسن وجه . والمراسلون يعانون أن جولاتهم ستكون قصيرة فلا يكفون أنفسهم مشقة التعرف على المنطقة بشكل أو بآخر .

وعقب مختص أمريكي على هذا بقوله : لدى أ كثرية الشعب الأمريكي فكرة خاطئة عن الشرق الأوسط . ومرجع ذلك في الغالب إلى المراسلين غير الدائمين الذين تبعث بهم الصحف الأمريكية بين الحين والحين . وقل أن تختار الصحيفة مراسلها على أساس معرفته بالمنطقة . وكثيراً ما ترسل الصحيفة مراسلاً شهيراً ليستوفي موضوعاً في وقت قصير ، ولكن كيف ينتظر من مراسل غربي لا علم له بتقاليد الشرق وفلسفته أن يفسر أخباره لقرائه بعد أيام قليلة يقضيها هناك ؟

مستوى أخبار وكالات الأنباء

من المعترف به على وجه العموم أن مراسلي وكالات الأنباء (الأمريكية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والهندية) يقومون بعملهم

على وجه يبعث على الرضى ، وإن كان ينبغي أن نعترف بالشروط
القاسية التي تعمل فيها وكالات الأنباء .

قال أحد المراقبين : يبدو أنه لا يتق لأحد يهتم بجمع الأخبار
أن ينتقد وكالات الأنباء ، فالصحف تعتمد عليها اعتماداً كلياً فيما
تحتاج إليه من الأخبار والإحصائيات والتصريحات والبيانات
وغير ذلك ، لا يجسد المراسل الخصوصى وقتاً للحصول عليه أو
لا يعرف كيف يحصل عليه . ورجال وكالات الأنباء يعملون
عملاً شاقاً متصلاً لمدة أربع وعشرين ساعة ، ونادراً ما يفوتهم
خبر مهم ما قلت أهميته ، ولكنهم يقعون فى أخطاء من جراء ذلك .
فالمنافسة بينهم تحتم عليهم ألا ينفقوا وقتاً طويلاً للتثبت من صحة
أخبارهم ، ومعنى هذا أن أخبارهم قد تكون ، ناقصة أو قد تكون
فيها تفاصيل غير صائبة .

ثم إن حرص وكالات الأنباء على خدمة الصحف لمدة بأخبار
مثيرة يجعلها تضحي بأجزاء هامة من الخبر فى سبيل جعله أكثر إثارة .
والأشياء التي تنقلها الوكالات من الصحف المحلية لا تختارها على أساس
موضوعيتها بقدر ما تختارها على أساس ما فيها من عناصر الإثارة ،
لأن هذا من شأنه أن يحقق لها ما ترجوه من حدوث صدى
لأخبارها فى العالم .

ومن عيوب وكالات الأنباء كذلك أنها تسبب المتاعب فى

الفترات التي يشتد فيها التوتر بين بريطانيا وبعض دول الشرق الأوسط .
ففي خلال المفاوضات المصرية البريطانية حول السودان وحول
مستقبل قاعدة قناة السويس كثيراً ما كانت تتعقد الأمور بين
الجانبيين نتيجة لما تناقلته بعض وكالات الأنباء آنذاك .

وبالرغم من هذا الذي قيل في حق وكالات الأنباء فلا شك أنها
تؤدي خدمة لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال . ولا شك
أنها تؤدي هذه الخدمة بقدر كبير من الكفاية والشمول . فهي
تملأ كثيراً من الفراغات التي تنشأ من عجز مراسلي الصحف عن
أن يذهبوا إلى كل مكان ليوافوا صحفهم بسيل لا ينقطع من
الأخبار .

أجل — لقد اتفقت كلمة كل المشتركين في هذا البحث فيما يختص
بوكالات الأنباء في هذا الشأن . واتفقت كلمتهم ، كذلك على
أن العيب الماحوظ في عمل وكالات الأنباء يرجعه إلى الاهتمام على
المراسلين المحليين في بعض الجهات .

المراسلون المحليون

قال مدير إحدى وكالات الأنباء عن المراسلين المحليين : إن
لهم عيوبهم المحتومة . وفيما يلي بعض ما يلقى الضوء على عملهم في
وكالات الأنباء .

١ — قل أن يتصف المراسلون المحليون بالموضوعية فيما يتعلق
بظروف بلدهم .

٢ - أنهم حريصون على ألا يصطدموا مع الساطات ؛ ولذلك تراهم يجعلون من أنفسهم رقباء على أنفسهم في كل وقت .

٣ - ليس لديهم مقاييس الغرب التي يقيس بها أهمية الأخبار .

ثم إنهم يعجزون عن تقديم تقارير موثوق بها في المسائل الاقتصادية . فهم يكتبون مثلاً عن مشروعات اقتصادية كتابة مبالغاً فيها دون أن يفكروا في التثبت من إمكان تنفيذ مثل تلك المشروعات .

٤ - وهم يميلون ميلاً شديداً إلى أخذ الأحاديث بغض النظر عن أهمية صاحب الحديث ، أو أهمية الحديث نفسه .

غير إن منطقة الشرق الأوسط يتطلب العمل فيها الاعتماد على المراسل المحلي اعتماداً كبيراً ، وقد يكون هذا المراسل رجل الموقف في بعض الأحيان . وقد بينا من قبل أنه نظراً لصعوبة الانتقال السريع من بلد إلى آخر في الشرق الأوسط يترك أمر استيفاء أخبار بعض البلاد إلى المراسلين المحليين فيها . هذا من جهة ومن جهة ثانية نرى أن المراسل الأجنبي قد يجد نفسه في موقف معقد إذ لا يستطيع أن يدعى أن آراءه صحيحة . ثم من جهة ثالثة نرى أنه في الفترات التي تتوسط الأزمات يترك أمر استيفاء أخبارها للمراسل المحلي الذي لديه الوقت والقدرة على استيفائها على خير وجه . يعنيه على ذلك إتقانه للغة الإنجليزية .

وعقب صحفي انجليزى عمل مع المراسلين المحليين فترة طويلة بقوله :
« يعيب أكثر المراسلين المحليين خوفهم من حكوماتهم ، وبخاصة
إذا كان لديهم موارد أخرى غير العمل الصحفي ، فعندما يحاول
المراسل المحلى أن يتحرى الدقة والنزاهة فى أخباره يجد السلطات
الرسمية تضغط عليه لإذاعة بعض الأخبار على سبيل الدعاية .
والمراسل الاجنبى فى مثل هذه الحالة يهمل هذه الدعاية ، فى حين
أن المراسل المحلى يخشى أن يفعل شيئاً من ذلك .

« ومن ثم أرى من الضرورى تدريب المراسلين المحليين ، فكثير
منهم ليس لديهم أدنى فكرة عن الدقة ، أو حتى عن كيفية كتابة الخبر .
وقام مراسل آخر بزيارات عديدة لبلدان الشرق الأوسط وقال :
إن لأكثر المراسلين المحليين أعمالاً أخرى يستمدون منها دخلهم
الرئيسى ، وهم ينظرون إلى عملهم مراسلين لضخف أجنبية باعتباره
عملاً إضافياً . ولقد اكتشفت فى زيارتى الأخيرة أن بعضهم من
التفاهة ونقص الخبرة الفنية إلى حد يؤثر على عملهم ويجعله قليل الأهمية .
« ولكن يشفع لهم مع كل ذلك أن عملهم دقيق بطبيعته ،
وموقفهم حرج للغاية . يشعرون أنهم بمأمن على أنفسهم إذا ما قصرُوا
نشاطهم على الأخبار الرسمية أو الاجتماعية .

فإذا كان الأمر يتعلق بالآراء والأفكار — باستثناء ما تحويه دعاية
حكوماتهم — فإنهم يفكرون مرتين قبل أن يبعثوا بهذه الأفكار إلى

الخارج . وإذا كانت الآراء التي أذاعوها سابقة لأوانها ، أو لم تجد قبولا من السلطات المحلية استبعدوها بسرعة .

ثم إن أكثر المراسلين المحليين الذين تستخدمهم وكالات الأنباء أو الصحف تنقصهم الخبرة الصحفية . والمراسلون غير الدائمين ينظرون إلى الأمور نظرة عاطفية . وليس لديهم المهاراة على إخفاء عواطفهم فيما يكتبون ، على أن الموقف قد تحسن في السنوات الأخيرة بالنسبة إلى المراسلين المحليين الذين هم موضوع هذا الحديث .

وعقب مراقب إنجايزي ذو خبرة كذلك بقوله : عندما تعتمد جريدة كبرى على مراسل محلي ، إنجايزيا كان أو وطنياً ولكنه ليس صحفياً محترفاً يقع اللبس في تعبيره عن أشياء وآراء هي في الواقع انعكاس عن الشائع في البلد الذي يوجد فيه وليست هي بالآراء المستقلة .

والحق أن ما يتمتع من الصحف من قبيل الاستثناء هو القاعدة بالنسبة إلى وكالات الأنباء في بعض مراكز الشرق الأوسط الهامة . ومن المؤسف حقاً أن سمعة الوكالة الطيبة توضع تحت رحمة المراسل المحلي الذي قد لا يكون قد تعلم بعد الدرس الأول في عمل وكالة الأنباء ألا وهو الحيدة التامة . فما لا شك فيه أن تسعة أعشار البرقيات المتحيزة تصفئ مما فيها من آثار التيز وذلك في أحد مكاتب الوكالة المركزية ، وإن كان بعضها يظل كما هو من غير تنقيح أو تصفية

نعم — ينبغي أن نقول إن هذه الانطباعات العامة تظلم المراسل المحلي الذي يواجه الضغط، ويبدل كل جهده لتكوين روايته الأحداث رواية نزيهة . وفي مثل هذه الحالة يكون عمله خيراً من عمل المراسل الأجنبي .

ومهما يكن من شيء فالإجماع منقاد إلى الآن على تأكيد ضعف العمل الذي يؤديه المراسلون الوطنيون بحيث لا يمكن تجاهل هذا الضعف بحال من الأحوال .

ولهؤلاء المراسلين مع ذلك ميزة كبيرة يؤكدونها المختصون الأجانب وهي أنهم يعرفون لغة البلد، العربية أو الفارسية، أو العبرية وهي التي يجهاها في معظم الأحيان المراسل الأجنبي .
وهنا يسعنا أن نتكلم عن :

مشكلة اللغة

يختلف رأى المراسلين بصدد الصعوبة الناجمة عن الجهل باللغة العربية، وإن كان أحد المراسلين القدامى وصف هذه الصعوبة بأنها الحاجز الرئيسى بين الغرب والعالم العربى .

ويزيد من صعوبة هذه المشكلة أن اللغة العربية تنسحب إلى ثلاث لغات؛ الأولى اللغة الفصحى؛ لغة القرآن، وهى اللغة الرسمية كذلك . والثانية العربية العامية التى تسمعها فى الشوارع والأسواق

وهى لغة ليست مكتوبة ولا تعد لغة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة .
ففى لغة لها قواعدها المبسطة ، وفيها كثير من الألفاظ الأجنبية ،
وهذه اللغة يسهل على المراسل الأجنى تعلمها فى وقت قصير ؛ وإن كان
لا يفيد تعلمها كثير آفى عمله الصحفى . وأخبر أ هناك عربية الصحف ،
وهى تقف بين الفصحى والعامية ، وإن كانت أقرب إلى الفصحى
منها إلى العامية . وهذه اللغة هى التى يجب على المراسل الأجنى أن
يعرفها حتى يستطيع قراءة الصحف المحلية ، ويقف على بيانات الحكومة
الرسمية ، ويستمع إلى الخطب والأحاديث . وعلى هذا فتقابل من
المراسلين الأجانب من يعرف هذه اللغة .

وقد زادت صعوبة مشكلة اللغة فى السنوات الأخيرة ، ففى
الماضى كانت اللغتان الإنجليزية والفرنسية تعتبران لغات رسمية فى
كثير من دول الشرق الأوسط . ففى مصر ، مثلاً ، كانت جريدة الوقائع ،
الرسمية فى بعض الأحيان تطبع باللغتين العربية والفرنسية ، وكانت النسخة
الفرنسية ترجمة أمينة ودقيقة للنسخة العربية . وإلى الآن تصدر طبعة
فرنسية للوقائع المصرية . ولكن لا يعتمد عليها لأنها تختلف كثيراً عن
الطبعة العربية . وكثيراً ما تحذف نصوص كاملة من الطبعة الفرنسية .
ولا تنشر إلا بعد شهور . ولا شك أن هذا الإهمال صدى للجفاء
للغرب .

وفى البنوك والشركات أخذت العربية تحل محل الفرنسية أو

الإنجليزية ، واختفت اللغات الأجنبية من اجتماعات الجمعيات العلمية التي كانت تعد كذلك مصدراً من مصادر الإخبار .

وبذلك أغلق الجهل باللغة العربية الأبواب أمام المراسل الأجني ، وإن كان يجتهد في السعى بكل طريقة ممكنة للوقوف على اتجاهات الرأي العام .

غير أنه ما تزال الصحف التي تصدر في مصر يأخذى اللغات الأوربية خير مصدر يستقى منه المراسل معلوماته . وهذه الصحف تحاول أن تحتفظ بحيادها وترفعها على المنازعات الحزبية . وهي تنشر تلخيصاً لأهم ما جاء في الصحف العربية . ولها مندوبوها الخصوصيون في الوزارات وفي البرلمان . إلا أن الصحف الأوربية تواجه نفس المصاعب التي يواجهها المراسل الأجني ؛ ونعني بها الرقابة والجهل باللغة العربية . علاوة على أن اختيارها للإخبار وطريقة معالجتها لها مرتبطان بحاجة قرائها من الأوربيين المقيمين هناك . ولذلك تراها تهمل ما يدور في مجالات هامة من الحياة العربية ؛ كالسرح ، والسينما والآداب ، وحتى الألعاب الرياضية التي لا يشترك فيها الأوربيون وتقدم لقرائها ناحية محدودة من نواحي الحياة المحلية . ويعيب الصحف الأوربية ، عند المراسلين ، أن ما تنشره نقلاً عن الصحف العربية يظهر متأخراً يوماً كاملاً على الأقل .

ومن حسن الحظ أن الصحفيين الذين يعملون في الصحف

الأوربية يملكون الأخبار والأفكار أكثر مما يظهر في صحفهم .
ومع هذا فإذا تيسر للراسل الأجنبي الاتصال بهذه الصحف أفاد
منها كثيراً .

وهناك مصادر مفيدة للمعلومات تتاح للراسل الأجنبي وهي
الملخصات الصحفية التي تهتم الحكومات بإعدادها حتى ييسر
للأجانب عامة ولرجال الصحافة خاصة الاطلاع على أهم ما جاء
في الصحف المحلية . ولكن يعبها . في بعض الأحيان أنها تختصر
بطريقة مضبوطة جداً ، حتى أنها تكتفي بإعطاء فكرة عامة عن
محتويات الصحف المحلية ، وقد تكتفي بذكر عناوين الأخبار أو
المقالات ، وتهتم بترجمة تصريحات أو أحاديث أو خطاب لزعماء
كبار . ويعبها ، كذلك ، أنها تتحيز فيما تقدمه . فهي تنشر تفاصيل
مناقشات مجلس جامعة الدول العربية حول مشكلة مراكش ، ولا
تشير إلى القرارات التي أصدرها المجلس بشأن العلاقات السياسية
بين الدول الأعضاء . أو قد تنشر مقالا لكاتب لا أهمية له لأنه
يتحدث عن العلاقات بين العرب وأوربا ، ثم تهمل أشياء هامة
لأنها ذات طابع عربي صرف .

وأخيراً يستطيع المراسل أن يطلب من أحد الصحفيين العرب
أن يترجم له ما جاء في الصحف العربية ، وكثيراً ما يحدث هذا بالفعل .
ومعظم هؤلاء الصحفيين العرب يحتلون مراكز هامة في الصحف العربية ،
ولكن أحدهم لا يستطيع أن يتخلص من الميل إلى توجيه المراسل

وجهة خاصة ، سواء كان هذا الميل شعورياً أو غير شعورى .
وقال أحد المراسلين عن هؤلاء المترجمين : إن الاعتماد على صحفى
عربى لترجمة ما جاء فى الصحافة العربية عمل غير مفيد على أى وجه .
لأن هؤلاء الصحفيين فى الغالب منغمسون فى السياسة المحلية ، وهم
أحياناً لا يقرأون لك كل ما فى الصحف . وفى أحيان أخرى ينقلون
إليك أخباراً وإشاعات كاذبة . وهم بطبيعة الحال يخافون السلطات
المحلية التى قد تعاقبهم عقاباً شديداً لأمر تنسبة إليهم .

وحتى إذا وجد المترجم الأمين النزيه من العرب . فلا يزال أمام
المراسل صعوبة التمييز بين ما يوثق به وما لا يوثق به مما يقرأ له :
وقال أحد المشتركين فى هذه الدراسة التى نحن بصدد هاهنا المشهود
لهم بالعطف على الصحافة العربية : لا يمكن الاعتماد على الصحف العربية
إلى حد بعيد . لأن العرب تنقصهم الخبرة الصحفية ، فمنهم
صحفيون بارزون ، ولكن لعدم تأصل التقاليد الصحفية
الصحيحة فى نفوسهم ، لأن وطنيتهم الجارحة تجبرهم على ألا يلزموا
أنفسهم بالتقيد بالحيدة التامة ، أو انتقيد بنشر الوقائع المجردة
وبدون صحافة نزيهة محترمة يصعب عمل المراسل الأجنبى فى المنطقة
وأكثر من هذا أنه متى فقدت الصحافة المحلية احترامها لنفسها
وجدت الحكومات من السهل التدخل فى شئونها . وبالتالى تتدخل
فى عمل المراسل الأجنبى نفسه . ويوجد عدد كبير من الصحفيين

فى الشرق الأوسط يدركون هذه الحقيقة ، وينعون على صحافتهم المحلية
عجز مقاييسها فى ذلك ، وإن كان هؤلاء الصحفيين لا يزالون أقلية .

على أن سقطات المراسل الذى يجهل العربية قد يكون لها نتائج خطيرة
على العلاقات بين الشرق الأوسط والعالم الخارجى . وتنشأ تلك
السقطات من الاختلاف العميق بين اللغة العربية واللغات الأوربية .
فاللغة العربية لغة بلاغة ، وبيان . ولا تعبر عن الأفكار تعبيراً مجرداً
ولذلك يجب العناية بتفسير الجمل العربية الطنانة أو ترجمتها ترجمة دقيقة .
فالخطب الحماسية ، والقرارات النارية تذوب حماسها وتنطق ناراها عندما
ترجم إلى لغة أوربية . ويتحتم على المراسل أن يفرق بين الكتابات
الشعبية التى تم عن التنصل من التبعات ومن الجهل بالاصول
الدبلوماسية المرعية من جهة ، والبيانات والتصريحات التى تقدر
نتائجها من جهة أخرى .

والجهل باللغة كذلك يؤثر فى عمل المراسل اليومى ، وقد تحدث
مراسل أجنبى ذو خبرة قديمة فى الشرق الأوسط فقال إنه كان يحضر
مؤتمرات صحفية تستعمل فيها اللغتان الإنجليزية أو الفرنسية إلى جانب
العربية ، وكان المتحدث يوجه حديثه بالعربية إلى الصحفيين العرب وينقل
إليهم أشياء يقول لهم أنها لا يصح أن يقال فى الخارج .

ولكن يساعد المراسل الأجنبى الذى يجهل العربية أن أكثر
زعماء العرب أو كبار المسئولين فيهم يعرفون الفرنسية أو الإنجليزية

أو تكتبهما ، وإن كان الذى يحدث عند أخذ الأحاديث أن كلام من
المحدث أو المندوب يتحدث بالفرنسية التى قد لا تكون لغته الأصلية
ويترتب على هذا التقابل من أهمية ما يدور بينهما .

وينبغى أن تذكر كذلك أن مشكلة اللغة تواجه المراسل الشرقى
أيضاً ، وهذا مراقب هندی يعقب على ذلك بقوله : إن قليلا من
المصحف الهندية تقدم صورة واضحة لمنطقة الشرق الأوسط ، ذلك أن
قليلا من مراسليها يعرفون إحدى لغات المنطقة . فينبغى إلا يكتفى
المراسل بالحصول على معلوماته وأخباره من كبار المسئولين ومن
الصفوة المتعلمة ؛ بل عليه أن يقف على رأى عامة الناس فى المقاهى
والمساجد والأسواق والأماكن العامة ونحوها .

إدارات الاستعلامات

تشتد الحاجة إلى مكاتب الاستعلامات لتزويد المراسلين
بالأخبار والبيانات والمعلومات الرسمية فى منطقة كمنطقة الشرق
الأوسط تنتشر فيها العربية والفارسية والعبرية . ويجب أن توجد
مثل هذه المكاتب فى السفارات والمفوضيات الأجنبية . وقد أشاد
المراسلون ذوو الخبرة الطويلة بالمنطقة بالمعونة التى تقدمها مكاتب
الاستعلامات الأمريكية والإنجليزية .

قال أسد هم : يرجع كثير من المراسلين إلى السفارتين

الانجليزية والأمريكية ، وإن كان رجال السفارتين يحترسون في تقديم المعلومات التي يقدمونها للبراسل .

ويرى الصحفيون الذين عملوا في الشرق الأوسط ما بين الحربين العالميتين أنهم لاحظوا تدهور أفضى قيمة العمل الذي تقوم به مكاتب الاستعلامات الإنجليزية بالرغم من أنها المصادر الأجنبية الرئيسية للاستعلامات الرسمية في الشرق الأوسط بالإضافة إلى مكاتب الاستعلامات الفرنسية . ولخص هذا الموقف مراسل إنجليزي بقوله : قبل الحرب العالمية الأولى كان الاتصال بين السفارات والصحفيين يتم بواسطة السكرتير الشرقي في كل سفارة ، وقليل ما كانت السفارات أو المفوضيات تصدر نشرات أو بلاغات رسمية ، وكانت شخصية الموظف المختص هي العامل الهام في جميع الأعمال المتصلة بالصحافة .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية أنشأت وزارة الاستعلامات البريطانية مكاتب استعلامات في سفاراتها ومفوضياتها في الخارج ، وكان أكثر العاملين فيها من ذوي الخبرة بالصحافة في الشرق الأوسط ، وكانوا يعرفون كيف يفسرون الظروف ويكشفون السياسة المحلية للبراسل الأجانب . ولكن مع الزمن وجدوا أنفسهم مشغولين بإعداد النشرات والبلاغات وما إلى ذلك من مشكلات الرقابة

وكانت النتيجة أنهم لم يجدوا الوقت الكافي للاتصال الشخصي بالمراسلين أنفسهم .

« وبعد سنة ١٩٤٥ قللت بريطانيا خدماتها الصحفية في الشرق الأوسط . ولسوء الحظ انتقل أمر مكاتب الاستعلامات من أيدي الصحفيين المحترفين إلى أيدي موظفي السلك الدبلوماسي الذين قل أن تجد من بينهم من سبق له الاشتغال بالصحافة أو عرف مشكلات الشرق الأوسط الخاصة . وترتب على هذا أن تحولت تلك المكاتب إلى مكاتب للعمل الصحفي الآلي ، وغلب عليها الطابع الرسمي .

آراء رؤساء تحرير الصحف

لعل من أبرز مواطن الضعف في أخبار الشرق الأوسط في العالم إنما هو الطريقة المتبعة في معالجة هذه الأخبار من حيث هي . ولقد بينا من قبل أن قلة مصادر الأخبار المتصلة بهذه المنطقة لا تؤثر في القيمة الخبرية فقط ، ولا في معاملة الصحف لها فقط . فإذا كان رئيس القسم الخارجي في الصحيفة مطالعاً على أحوال المنطقة استطاع أن يوجه مراسلي الجريدة فيها توجيهاً سليماً ، واستطاع أن يوجه سكرتير التحرير المختص بالأخبار الخارجية كيف يحسن معالجة أخبار المنطقة . وهذا كفيل بالقضاء على عيب من أبرز عيوب الاستيفاء في أخبار الشرق الأوسط ؛ ونعني به عدم الاستمرار في تقديم الأخبار من جهة ، وترقيعها في نفس الوقت من جهة أخرى .

ولا يلام المحرر المختص لضيق الحيز المتروك لأخبار المنطقة في صحيفته ، أو لمجزها عن الاعتماد على مراسلين خصوصيين لاستيفاء أخبار المنطقة . ولكن الشيء الذي يجب القضاء عليه هو عدم المبالاة في معاملة أخبار الشرق الأوسط في بعض الصحف ،

ومتى تم القضاء على هذا الشعور أمكن القضاء على الشعور بعدم المبالاة من جانب القراء كذلك .

ولا شك أن أخبار الشرق الأوسط في رحلتها الطويلة من المراسل إلى الصحيفة التي تنشر فيها تتعرض لأخطاء شديدة . ومن أكبر الأمثلة شناعة ما حدث في صيف سنة ١٩٥٣ عندما وزعت إحدى وكالات الأنباء برقية صادرة من القاهرة خلطت فيها بين الاستعداد للانتخابات العامة في لبنان وبين حكومة اللواء محمد نجيب في مصر ؛ وظهر فيها أن المعارضة اللبنانية تتحدى اللواء نجيب !! جاء في البرقية ما يلي : سوف تتخذ الحكومة المصرية إجراءات مشددة للحفاظ على الأمن والنظام أثناء المعركة الانتخابية القادمة التي يتوقع بعض المراقبين أن تثير بعض الإضطرابات . وقد دعا السيد كمال جبرلاط زعيم المعارضة (اللبنانية) مرشحى أحزاب المعارضة إلى عقد مؤتمر لبحث الخطط التي تؤدي إلى إرغام وزارة نجيب على الاستقالة . وأمس قررت وزارة نجيب عدم تقديم استقالتها بعد جلسة عقدتها الوزارة لبحث الأزمة الوزارية التي ترتبت على استقالة السيد رشيد ييضمون وزير الدفاع (اللبناني) . والمعتقد أن البكباشى صلاح سالم رئيس هيئة أركان حرب الجيش طلب من بعض الوزراء الاستقالة لتأكيد حياد الوزارة الكامل خلال المعركة الانتخابية . ولكن الوزراء أخبروا البكباشى صلاح سالم

أنه يتختم على اللواء نجيب الاستقالة أيضاً . ومن أجل ذلك قرر اللواء نجيب بقاء الوزارة كما هي ، كما قرر السيد بيضون العدول عن استقالته .

وهذا مثل ظاهر الشناعة شديد التطرف . ولكن ماذا يفعل سكرتير التحرير عندما يجد بين يديه مثل هذا الخلط المريب ؟ أو يرى هذه التفاصيل التي لا يمكن جمعها في صعيد واحد ؟ فصلاح سالم في ذلك الوقت لم يكن بكباشي ولا رئيس أركان حرب الجيش . ولكنه صاغ ووزير الإرشاد القومي المصري .

وإليك مثلاً آخر من أمثلة الخلط والتحريف وقع في خريف عام ١٩٥٣ عندما كانت القاهرة تشهد محركات الثورة . فقد أرسل مراسل ألماني برقية إلى جريدته وضع فيها المتهمين في منصة القضاء ، ووضع أعضاء المحكمة في قفص المتهمين . ولفت أحد المراقبين النظر إلى أن الخلط بين الأسماء كثير الحدوث ، ولا تسلم منه كبريات الصحف . وعلق مراقب إنجليزي على هنا بقوله : إن الأخطاء الشائعة التي تقع فيها الصحف تتضاعف في أخبار الشرق الأوسط . فالصحف العالمية تجهل الدين الإسلامي خاصة ، والثقافة الإسلامية عامة . إذ عندما توفي الملك ابن سعود نشرت إحدى الصحف أن الملك الراحل أعان مرة أنه يعشق ثلاثة أشياء : النساء . والصلاة .

والعطور . والحقيقة أن ما نسب إلى ابن سعود هو حديث نبوى (١) ،
وقد يكون ابن سعود قال فعلا مثل هذا الكلام ولكن ماذا يظن بمراسل
فرنسى نقل عن تشرشل قوله : العلم الناقص أخطر من الجهل المطبق .
ومثل هذه الأخطاء ليست بذات أهمية في ذاتها ، وإنما ترمز إلى
عدم الدقة . وقد تسبب بعض المشكلات الدبلوماسية .

وفيما يلي بعض الانتقادات التى وجهت إلى طريقة تناول أخبار
الشرق الأوسط فى الصحف :

أ - يطلب رئيس القسم من المراسلين أن يمدوه بالأخبار
التي يرى أنها تزيد من الاهتمام بالمنطقة ؛ كالأخبار التي تتحدث
عن روعة الشرق ، وعن المعارك الدموية فيه . وقد يفعل هذا
خوفاً من أن تسبقه الصحف المنافسة إلى نشر مثل تلك الأخبار .
وقد ضرب أحد المشتركين في هذا البحث مثلاً لأحد المراسلين أضاف
إليه سكرتير التحرير تفاصيل مثيرة ولكنها ليس لها حظ من الدقة .

ب - تعتمد كثير من الصحف كما بينا من قبل على مصادر
بلادها الدبلوماسية إلى حد يجعل المراسل الدبلوماسي هو المراسل
الرئيسي للجريدة في الشرق الأوسط .

(١) نص الحديث النبوى كآلآنى : حجب إلى من دنياكم ثلاث : النساء
والطيب . وقرة عبنى الصلاة .

ومثل تلك الصحف تبرر عملها بقلة الأخبار الموثوق بها عن المنطقة ، وكل الذى تفعله هو أنها تجعل وزارة الخارجية المصدر الوحيد للأخبار والتعليق عليها .

ح - جنوح كثير من الصحف إلى كثرة حذف أجزاء هامة من برقيات وكالات الأنباء مما جعل وكالات الأنباء تهمل تزويد الصحافة بالمادة التفسيرية لجميع الأخبار .

د - وفي الحالات التى تكون فيها الأخبار دقيقة وغير مشوهة نجد كثيراً تضع لها عناوين مضللة .

آراء رؤساء التحرير فى هذه المسألة

توسعنا فى بيان الانتقادات الموجهة إلى استيفاء أخبار الشرق الأوسط فى الوقت الحاضر لأن الهدف الذى جعلناه نصب أعيننا فى هذا البحث هو جمع أكبر قدر ممكن من الآراء المتصلة بالموضوع . والتوسع فى النقد على قدر الإمكان .

إلا أنه من المهم أن تعرف رأى رؤساء التحرير فى النقاط التى أثارت ، لأنهم الواسطة بين أخبار وكالات الأنباء من جانب والمراسلين والقراء من جانب آخر .

فقد وافق عدد غير قليل من رؤساء تحرير الصحف على رأى مدير إحدى وكالات الأنباء حين قال إن استيفاء أخبار المنطقة يتناسب مع أهميتها . ولكن أثبت أكثرهم أن المشكلة بعيدة عن تخصصهم . بحيث يصعب عليهم نقدها . ودار التعليق حول النقط الأربع التالية :

١ - كمية الأخبار الواردة :

يرى رؤساء تحرير الصحف الإنجليزية أن كمية الأخبار التي تصلهم مرضية على وجه العموم . ووافقهم على ذلك بعض رؤساء تحرير الصحف الأمريكية والأوربية والهندية . وبعضهم الآخر لم يوافق على ذلك . فقال أحد الهنود إن كمية الأخبار أكثر من اللازم . وقال آخر إن الكمية أقل من اللازم باستثناء الأخبار التي ترد من مراكز الاضطراب في الشرق الأوسط كطهران والقاهرة . أما باقى أجزاء الشرق الأوسط فلا يكاد يسمع عنها شيء .

وحتى أخبار هذين المركزين الهامين لا تتدفق بانتظام إلا إذا وقعت فيهما أحداث جسام . ويلاحظ عدم انتظام تدفق أنباء المنطقة ، كما يلاحظ أن بعض البلدان لا يرد ذكر لها في الأخبار إذا وقعت فيها تطورات سياسية هامة . فبعد أن نشرت الصحف أخبار تولى الملك الجديد عرش الأردن لم ينشر شيء عما يفعله هذا الملك ، وماذا حدث لأنصار الملك السابق ، وهكذا .

بل إن سوريا والعراق تعتبران كذلك من البلدان المهمة. وقد برز اسم العربية السعودية في صدر الصفحات الأولى عندما مات الملك ابن السعود، وبعد ذلك أسدل عليها ستار من الصمت. وانتخابات السودان نفسها لم تواظب الصحف الهندية على نشر أخبارها بالرغم من أن أحد الهنود كان رئيس لجنة الانتخابات. وعاب رئيس تحرير إحدى الصحف النرويجية، استيفاء وكالات الأنباء لأخبار مصر وإيران. وشاركه في هذا رئيس تحرير إحدى الصحف الأمريكية.

٢ - قيمة الأخبار الواردة :

انتقد رؤساء تحرير الصحف قيمة الأخبار الواردة من الشرق الأوسط. وقال رئيس تحرير إحدى الصحف الألمانية: لا تهتمنا كمية الأخبار، ولكن أخبار أمريكا وبريطانيا وفرنسا لا تتنازعها أخبار أية منطقة في العالم لأنها أخبار دقيقة ومباشرة وقائمة على الوقائع المجردة. وقال رئيس تحرير من الهند إنى لا أحسن بقلة الأخبار الواردة من منطقة الشرق الأوسط، وإن كانت قيمة بعضها مثار خلاف. والصنف الذى أريده من هذه الأخبار قلما يمكن الحصول عليه إلا فى صورة تخمينات قد تبدو دقيقة لأنها تخص منطقة بعيدة عنا. وكتب رئيس تحرير من بريطانيا يقول: إن النقص فى قيمة الأخبار يرجع إلى دوافع المصادر الرسمية وأساليبها المريبة أكثر مما يرجع إلى وكالات الأنباء أو المراسلين المحليين.

٣ - أنواع الأخبار :

اقترح اثنان من رؤساء تحرير الصحف الأمريكية أن تزداد المادة التفسيرية للوضوعات غير السياسية . وقال محرر هندی : قليلا ما ترد إلينا أخبار اجتماعية أو ثقافية أو أخبار ذات طابع إنساني من الشرق الأوسط ، حتى من مصر وإيران . وانتقد محرر إنجليزى قلة ما تقدمه وكالات الأنباء لتحليل المواقف . والقليل الذى توردته وكالات الأنباء من ذلك ليس سياسياً لأن هذه الوكالات تؤثر السلامة والعافية .

٤ - التحيز فى نقل الأخبار :

اقتصرت هذه الشكوى على الهند وأوربا . وأشار محرر هندی إلى أنه بينما فشلت وكالات الأنباء الغربية فى تقدير الأخبار من وجهة النظر الهندية فإن التحيز الخفى فى كثير من أخبار وكالات الأنباء يظهر بوضوح للحررين فى الهند لأن الهند نفسها ضحية من ضحايا هذا التحيز .

وقال محرر ألماني : لم أذهب إلى مصر منذ عام ١٩٤٧ . ولكن لدى إحساساً قوياً أن كثير من مراسلي الصحف ووكالات الأنباء ليسوا منزهين أو محايدين كما ينبغي . فمثلاً أخبار محاولة الدول العربية مواجهة الغرب بالاتحاد السوفيتى أخبار مبتسرة ولا تتناول صميم المشكلة . ويرى محرر نرويجى أن العالم برغم هذا كله يحصل على صورة

صادقة إلى حد ما عن الشرق الأوسط ، وإن كان التحيز يظهر في بعض أجزاء الصورة ، وضرب المثل على ذلك بأخبار النزاع بين إيران وبريطانيا حول البترول .

وهو يشعر على وجه العموم أن المراسلين الغربيين يميلون إلى الاعتماد على المصادر الغربية أكثر من غيرها للحصول على كل أخبار المنطقة .

خاتمة

إن أى تقدير نقدى لاستيفاء أخبار الشرق الأوسط فى صحف العالم هو تقدير ناقص ما لم تدخل فى حسابنا المصاعب المختلفة التى تعترض جمع أخبار تلك المنطقة .

وبعض تلك المصاعب راجع إلى طبيعة المنطقة نفسها : كبعد الشقة بين مراكز السكان الرئيسية ، ومتاعب الطقس ، والنعقيد الجنسى ، واختلاف اللغات واللهجات التى يتكلم بها شعوب المنطقة كل هذا رهق المراهق الذى يعمل هناك أشد الإرهاق . وعلاوة على تلك المصاعب فإن مصادر الأخبار المحلية هناك مصادر أولية ساذجة .

وهناك عدد من المصاعب تنشأ عن السياسة المتعمدة من جانب حكومات الشرق الأوسط . تنشأ تلك المصاعب عندما تقرر حكومة من الحكومات منع واقعة من الوصول إلى العالم الخارجى .

وقد يجد أحد المراسلين أنه من الصعب عليه أن يحصل على تأشيرة دخول إلى أحد بلدان الشرق الأوسط ، أو قد يتأخر

حصوله عليها ، أو يمنع من الدخول كلية . وإذا ما دخل البلد وجد من الصعب الانتقال منه إلى باد آخر تقع فيه أحداث هامة وذلك بسبب المتاعب الناتجة من تأشيرة الخروج . وقد يجد أن تنقلاته داخل البلد مقيدة ، وإنه ممنوع من الذهاب إلى مناطق معينة .

وحتى في العاصمة لا يجد سبل الحصول على أخبار ميسرة . وكل ما يكتبه يجب عرضه على الرقابة . وقد تؤخر برقيات وقتاً طويلاً يجعلها عديمة الفائدة . وحتى إذا أجازت السلطات برقيات وسمحت له بإرسالها إلى الخارج فإنه لا يسلم من لدغات تلك السلطات لأن النص الذي تضمنته برقيته لا يتفق مع النص الذي كانت السلطات ترغب في أن يصل إلى الخارج .

وهناك عوائق أخرى مختلفة ، فالقيود تفرض في الوقت الذي يترقب العالم فيه أخبار تلك المنطقة لوقوع أحداث خطيرة فيها . وتشد تلك القيود بنوع خاص على المراسلين المقيمين ، ومن بينهم مندوبو وكالات الأنباء المسئولة عن مد صحف العالم بقدر كبير من أخبار الشرق الأوسط . أما إذا كان المندوب وطنياً فإنه يتعرض لضغط حكومته إذا أقبل على نقل يخضبها .

غير أن أثر القيود محدود ، فهي لا تمنع الأخبار من الوصول إلى الخارج ، وإن كانت تؤخرها عن الوصول في الوقت المناسب ،

وكثيراً ما تفشل القيود حتى في تأخير وصول الأخبار إلى الخارج لأن المراسل المقيم لا يعدم الوسيلة للتغلب على الصعوبة التي تواجهه. وإذا لم يستطع التغلب على الصعوبة فهناك المراسل المتجول الذي يكون في إمكانه تخطي الحدود والاقتراب من المنطقة التي تقع فيها الأحداث . وينجم عن هذا في كثير من الأحيان أن القصة الإخبارية التي تصل العالم تكون قصة مشوهة تضر الحكومة التي منعت من خروج القصة الصادقة أكثر مما تضر أحداً غيرها .

وهناك صعوبة أخرى تتصل بالتنظيم الإداري لوكالات الأنباء وتؤثر في عملها . فالشرق الأوسط يضم أكثر من إثنتى عشرة دولة مستقلة ، ولا تستطيع وكالات الأنباء تحمل نفقات وضع هيئة من المراسلين الأجانب في كل بلد ، إذ أن النفقات لا تتناسب مع ما ينشر من أخبار الشرق الأوسط في الصحف التي تتعامل مع وكالات الأنباء . وهذه المشكلة مشكلة عالمية تعاني منها وكالات الأنباء وهي تحاول التغلب عليها باستخدام المراسلين الوطنيين كلما أمكنها ذلك ، وهذا عمل سليم العواقب في البلاد ذات المستوى الصحفي المرتفع ، ولكن هذا العمل غير مضمون العواقب في بلدان الشرق الأوسط لانخفاض مستوى الصحافة فيها من ناحية ولجروح العاطفة الوطنية من ناحية أخرى .

ثم إن شبكة المواصلات الخارجية في الشرق الأوسط تسبب بعض المشكلات للمراسلين . ففي أكثر عواصم الشرق الأوسط لا تتحمل

شبكة المواصلات الخارجية هذا الضغط ، إذ عندما تقع أحداث هامة يسارع عدد كبير من المراسلين إلى استيفاء أخبارها . ويؤدي التنافس على الحصول على الخط إلى الاعتماد على البرقيات المستعجلة ذات الأجور المرتفعة التي تضطر المراسل إلى ضغط أخباره وقصرها على الخطوط الرئيسية مهملًا الجانب التفسيري فيها كل الإهمال . وتلجأ الحكومات إلى رفع أجور البرقيات لزيادة إيراداتها وتعتمد عدم وصول الأخبار الكافية عن بلادها إلى الخارج بنفس هذه الطريقة .

وقد بينا الصعوبات الناجمة عن الرقابة وارتفاع نفقات الأخبار والمواصلات الخارجية بالنسبة لوكالات الأنباء لأن أكثرية صحف العالم تعتمد عليها في الحصول على أخبار الشرق الأوسط . ولا يوجد إلا القليل من الصحف التي تعد على أصابع اليد الواحدة يمكنها استيفاء أخبار المنطقة عن طريق مراسليها الخصوصيين .

وماذا يقال عن مستوى نقل الأخبار من الشرق الأوسط ؟
فرق كل من اشترك في هذا البحث بين العمل الذي تؤديه الصحف التي تبذل جهوداً صادقة لاستيفاء أخبار المنطقة وبين العمل الذي تؤديه الصحف العالمية التي لا تبذل هذا الجهد .

وتفوق هذا العدد القليل من الصحف يعود إلى كمية الأخبار التي تنشرها ، وإلى مواظبتها على نشر الأخبار ، وإلى المادة التفسيرية ،

والتعليق المستنير على تلك الأخبار . وأهم ما يوجه إليها من نقد أنها تحصر اهتمامها في الأخبار السياسية فقط ، بل تحصر عنايتها بأخبار بلد أو بلدين من الشرق الأوسط .

ولكن يقابل تلك الصحف صحف عالمية تؤخذ على سطحية أخبارها ، وعلى نقصها ، وتعويلها على الأخبار المثيرة . وأبرز عيوب هذه الصحف ما يلي :

١ - نقص المادة التي تفسر الأخبار ، وتكشف ما وراء الأحداث التي يرد ذكرها في الأخبار .

٢ - تركيز الاهتمام على مناطق معينة كالجمهورية العربية المتحدة ، وإيران ، وإسرائيل ، وإهمال المناطق الأخرى كالسعودية ، العراق ، لبنان ، الأردن .

٣ - تركيز الاهتمام على الأخبار السياسية دون الأخبار الاقتصادية والاجتماعية التي دائماً ما تكون السبب الرئيسى فى الأحداث السياسية .

٤ - التحيز فى نقل الأخبار والتعليق عليها ، وتشويه تلك الأخبار ، وقد يكون هذا نتيجة الجهل ، أو قد يكون نتيجة سياسة متعمدة .

٥ - قلة الأخبار التي تأتي عن طريق المراسلين الأجانب ذوي الخبرة . وترك استيفاء الجانب الأكبر من الأخبار للمراسلين

المحليين غير الأكفاء ممن يعيب عملهم خوفاً من حكوماتهم
أو عاطفتهم الوطنية المتطرفة .

٦ — عجز المراسلين الأجانب عن الوقوف على جوهر المشكلات
لجهلهم بلغة البلد .

٧ — ضعف معالجة الأخبار وعرضها والإفادة منها ، وهذا من
شأنه أن يقلل من اهتمام المراسل بالحصول على الأخبار .

وقد يظن من التفرقة بين مستوى أخبار الشرق الأوسط في نسبة
قليلة من صحف العالم وبقية الصحف أن الصحف الأولى يتوافر
لها المراسلون الخصوصيون بينما لا يتوافر للصحف الأخرى مثل
هؤلاء المراسلين . وليس هذا القول صحيحاً على إطلاقه لأنه قد
ظهر لنا من قبل أن هناك صحفاً تمثل تمثيلاً ممتازاً في المنطقة ولا تعد
من بين الصحف التي يوثق بأخبارها . بينما توجد صحف ليس لها
مراسلون على الإطلاق ولها شهرة طيبة فيما يتصل باستيفاء أخبار
الشرق الأوسط .

ويمكننا هذا من تقدير الخدمات التي تؤديها وكالات الأنباء ،
فبعض الصحف التي ليس لديها مراسلون خصوصيون ويضعف فيها
مستوى أخبار الشرق الأوسط تلقى اللوم على وكالات الأنباء .
وهذا اتهام باطل لسببين : أولها أنه يجب أن نسأل عن مصير برقيات
وكالات الأنباء التي تصل إلى الصحيفة ، فوكالات الأنباء تشكو من أن

الصحف تلقى بالجانب الأكبر من برقياتها في سلة المهملات، وثانيهما أنه يجب أن نسأل ماذا تفعل الجريدة لتكملة الأخبار أو الموضوعات التي تأتيها عن طريق وكالات الأنباء .

إن الجانب الأكبر من المسئولية يقع على الصحيفة ، ويتوقف على مدى اهتمامها بأخبار الشرق الأوسط ، وطريقة تناولها لتلك الأخبار ، وما تبذله من جهد لتكملة أخبار وكالات الأنباء من مصادر أخرى . وشرح رئيس تحرير إحدى الصحف التي نجحت في مضمار أخبار الشرق الأوسط ، وكيف يستعين بالتحقيقات والتفسيرات والمقالات لتكملة ما تجيء به وكالات الأنباء ، قال : نحن في الشرق الأوسط نحتاج إلى التفسير أكثر مما نحتاج إلى تدفق الأنباء .

وإذا كان قوله صحيحاً فالإصلاح المنشود في مجال أخبار الشرق الأوسط يقوم على المقالات التفسيرية أكثر مما يقوم على الأخبار نفسها .

ويؤيد مراسل إحدى وكالات الأنباء وجهة النظر هذه ، فيقول : إن بعض أخبار الشرق الأوسط مما يظهر في الصحف لا تساوي الحيز الذي كُتبت فيه . والصحف التي تحرص على تتبع أخبار التطورات السياسية يوماً بعد يوم تضيع ما لها بدئى وهي تستطيع أن تلخص تلك الأخبار كل أسبوع أو حتى كل شهر وخير مثل لذلك المفاوضات التي كانت جارية بين مصر وبريطانيا حول مستقبل قاعدة قناة السويس فكان ما ينشر عنها كل يوم لا يزيد

عن تفصيلات مملة تتكرر يوميا .

وأضاف هذا المراسل قوله أنه يرى أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط على الوجه الأكمل يجب أن يتناول المشكلات الآتية بالشرح والإسهاب والتعليق :

أ - نشر التطورات السياسية الهامة في حينها .

ب - نشر طائفة من المقالات التي تتناول موضوعات غير سياسية في مواعيد ثابتة على أن تتناول هذه المقالات التطورات الاجتماعية والفنية .

ج - رسائل من المراسلين المتجولين .

ولنفرض أننا وافقنا هذا المراسل على مقترحاته فكيف يتيسر الحصول على تلك المواد ؟ فأهم المشكلات المتعلقة باستيفاء الأخبار من الشرق الأوسط هي قلة الصحفيين الموجودين هناك والذين يجمعون بين المقدرة الخاصة وبين القدر الضروري من الحياء .

اقترح المشتركون في هذا البحث طرقاً متنوعة للتغلب على هذه المشكلة . اقترح بعضهم مثلاً أن يطبق نظام التعاون بين الصحف في استيفاء الأخبار . وهذا النظام معمول به في أوروبا . كما اقترح بعضهم الآخر التوسع في بيع مقالات الصحفيين المتخصصين الذين

يتجولون في المنطقة من وقت لآخر ، ولكن بعض المراقبين يبنوا أنه لا يكفي تنظيم الحصول على المقالات . وأظهروا أنه يمكن الاستفادة من الأشخاص الذين يعملون في وكالات الأنباء وأنهم أدرى بالمنطقة من غيرهم . إلا أن عدد المشكلات التي يتوقع أن يكون المحررون في الصحيفة على علم بها محدود . وهذا ما جعل المشتركين في بحث مماثل عن الأخبار من روسيا يحثون المحررين على الاستعانة بالمختصين والخبراء لتفسير الوقائع المجردة التي تتضمنها لأخبار الشرق الأوسط . ففي كل مدينة كبيرة يوجد أقسام للدراسات الشرقية في جامعاتها . وأساتذة تلك الأقسام يزورون منطقة الشرق الأوسط من حين لآخر . ومن بين هؤلاء من يستطيع أن يكتب مقالات عن الشرق الأوسط للصحف المحلية بالمدينة .

ومن هذه المقترحات نستنبط أن استيفاء أخبار الشرق الأوسط على أكمل وجه يكون بتركيز جهود المراسلين والصحف على المقالات التفسيرية النزيهة البعيدة عن التحيز والتي تلقى الضوء على شعوب المنطقة ومشكلاتها . وبدون تلك المقالات النزيهة تظل الأخبار المجردة مستغلقة على القارئ العادي بل أعمى تكون مضللة له .

وإذا وجدت هذه النصيحة آذاناً واعية فالمعتقد أنها ستساعد في نهاية الأمر على حل مشكلة استيفاء أخبار الشرق الأوسط — تلك المشكلة التي تثيرها الحكومات الكارهة لكل نقد يوجه لتصرفاتها

من الخارج . ومن الأسباب التي تحتّم على الصحف قبول الأمر الواقع فيما يتصل بأخبار الشرق الأوسط بعكس ما تفعل بالنسبة لأخبار المناطق الأخرى شعورها بالموقف العدائي من جانب الحكومات في المنطقة التي تكره أن تنقل أخبارها نقلاً كاملاً أميناً . وقد لخص أحد المراسلين هذا الموقف بقوله : من المستحيل في الوقت الحاضر تفسير أخبار الشرق الأوسط والتعليق عليها تعليقاً صريحاً بدون التعرض للمتابع التي تأتي من حكومات المنطقة (١) .

والأسباب الواهية التي تستند إليها حكومات المنطقة وتتخذ بها إجراءات مشددة مع الصحفيين تدل على أنهم ليسوا دائماً على حق في نزاعهم مع الصحفيين . ولكن عدداً غير قليل من المراسلين يقولون إن الأمر على خلاف هذا ، ويؤيدهم في هذا الرأي رئيس القسم الخارجي في جريدة إنجليزية عمل مراسلا في الشرق الأوسط فترة طويلة إذ يقول :

« ازداد نقل الأخبار من الشرق الأوسط سوءاً منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة ؛ فهناك أزمة ثقة بين حكومات الشرق الأوسط وصحف العالم ، وليس اليوم كله يقع على كاهل تلك الحكومات . فصحافة العالم تتجاهل المنطقة إلى أن تضطرب الأمور هناك ، وتقع أحداث هامة . ومع هذا فإن تلك الأحداث

(١) ننتقد أن المتابع ، إن جاءت ، فلا تجيء إلا نتيجة للتحيّز في نقل الأخبار ، والتحيّز في التعليق عليها لا العكس .
(المترجم)

لا تنقل أخبارها نقلاً أميناً بل تحرف الأخبار لمصلحة الدول التي
يعنيها الأمر .

« لقد تقدمت المنطقة تقدماً ملحوظاً ، ووقعت فيها تغيرات
ثورية في ربع القرن الأخير ، ولكن صحف العالم لم تعط هذه
التغيرات حظها من العناية . فمضت تلك التغيرات ولم يكثر لها
أحد حين لم يتح لها المراسلون الأكفاء ذوو الخبرة الذين
يستطيعون أن يقدروا تلك التغيرات حق قدرها . فمنذ ربع قرن
كان الشرق الأوسط يتخلف عن أوروبا بنحو ٥٠ سنة ، أما الآن
فالثغرة بينهما لا تزيد عن ٧٠ عاماً .

وتوضح الآراء التي ذكرت في هذا البحث نقلاً عن رجال
الصحافة أن أزمة الثقة بين حكومات الشرق الأوسط والصحافة
العالمية لا تقع مسئوليتها على طرف واحد .

وطالما بقيت تلك الأزمة ، أخذ المراسل يذنب غيره ،
وأشوأ من هذا فهو يهدد بالانتقام إذا ما هو كتب الحقيقة كما يراها
لأن النقد البريء في جو الشك وسوء الظن يعتبر نقداً دفع إليه
سوء النية .

والذين طانوا من هذه المشكلة ، وحملوا عليها لا يتوقعون لها

علاجاً سريعاً ، وبخاصة بعد أن ازدادت خطورة النزاع الحالي بين العرب وإسرائيل .

وكما بينا من قبل أن من نتائج حرب فلسطين منع المراسلين من حرية التنقل بين الدول العربية وإسرائيل ولذلك تعذر عليهم أن يحصلوا على صورة متكاملة المنطقة ، ولا تجد الصحف العالمية أزاء هذا مفراً من أن تترك أمر استيفاء أخبار إسرائيل للإسرائيليين أنفسهم ، وترسل مندوبيها الأجانب إلى العالم العربي . ونجم عن هذا اختلاف واضح في اللهجة بين الأخبار التي ترد من كلا الجانبين وزاد هذا من المرارة التي تملأ نفوس زعماء العرب وشعوبهم .

ولكننا نأمل أن تتحسن ظروف نقل الأخبار إذا ما سويت المشكلات السياسية في منطقة الشرق الأوسط . وهناك ما يحمل على الاعتقاد أن التجارب قد علمت حكومات تلك المنطقة أن ترك الجزية لتدفق الأنباء من بلادهم أفضل لهم من فرض القيود عليها . والمأمول أن يتحقق هذا تحققاً صحيحاً وكاملاً ، فالخاسر الأكبر من القيود التي تفرض على جمع الأخبار هو حكومات الشرق الأوسط وشعوبها وليس غير ؟

تم بعون الله

فهرست الكتاب

تقديم الكتاب	٣
الباب الأول	
إستبعاد أخبار الشرق الأوسط في الصحافة العالمية	١١
الفصل الأول	
طبيعة المنطقة	١٢
الفصل الثاني	
الرقابة	٢٠
الفصل الثالث	
مصاعب السفر	٤٥
الفصل الرابع	
إمكانات الحصول على الأخبار	٥٥
الفصل الخامس	
متاعب أخرى	٦٩

الفصل السادس

إستيفاء الأخبار ٧٨

الباب الثاني

مآخذ على إستيفاء أخبار الشرق

الأوسط في الصحافة العالمية ٩١

الفصل الأول

النقص في كمية الأخبار ٩٢

الفصل الثاني

النقص في تفسير الأخبار ٩٩

الفصل الثالث

التفاوت في إستيفاء الأخبار ١٠٨

الفصل الرابع

تشويه الأخبار ١١٥

الفصل الخامس

إختلاف مستويات الأخبار في المنطقة ١٣٩

آراء رؤساء الصحف ١٤١

خاتمة ١٥٧

للمؤلف ثلاثون كتاباً

في مجال البحث الأدبي والبحث الصحفي

وهذه قائمة الكتب والأبحاث الصحفية وحدها

أولاً — الكتب المنشورة :

- | سنة | |
|------|---|
| ١٩٥٠ | ١ — أدب المقالة الصحفية في مصر الجزء الأول |
| ١٩٥٠ | ٢ — " " " " الثاني |
| ١٩٥١ | ٣ — " " " " الثالث |
| ١٩٥١ | ٤ — " " " " الرابع |
| ١٩٥٢ | ٥ — " " " " الخامس |
| ١٩٥٤ | ٦ — " " " " السادس |
| ١٩٥٩ | ٧ — " " " " السابع |
| ١٩٥٥ | ٨ — الصحافة والأدب في مصر |
| ١٩٥٦ | ٩ — المدخل في فن التحرير الصحفي ، الطبعة الأولى ، |
| ١٩٥٧ | ١٠ — مستقبل الصحافة في مصر |

١١ — الصحافة المضرية في مائة عام — من سلسلة سنة ١٩٦٠
الكتب الثقافية

١٢ — أزمة الضمير الصحفي ١٩٦٠

١٣ — أخبار الشرق الاوسط بالاشتراك مع الدكتور ١٩٦١
وايم الميرى

ثانياً البحوث الصحفية التي نشرتها هيئات علمية :

١ — أجواء فكرية وسياسية عاش فيها الأدب الحديث
والصحافة المصرية

(مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة — ديسمبر ١٩٥٤)

٢ — العقدة الشركسية عند مدرسة الشيخ محمد عبده وأثرها في
صحافة هذه المدرسة (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة
مايو سنة ١٩٥٦) :

٣ — مستقبل التأهيل الصحفي في مصر (منشورات قسم
الصحافة جامعة القاهرة رقم « ١ » سنة ١٩٥٧)

٤ — نشر الوعي الصحفي بالمدرسة (منشورات قسم الصحافة
جامعة القاهرة رقم « ٢ » سنة ١٩٥٨)

٥ - السطور الصحفي من أطوار الحركة الوطنية في مصر (مجلة
كلية الآداب جامعة القاهرة - ديسمبر سنة ١٩٦٠)

وتطلب جميعها من دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسنى طلعت حرب سابقاً
ت : ٥٦٤٦٧

مكتبة الطباعة والنشر
دار الفکر العربی

طبع الفلاف
المطبعة الدولية